

اضطرابات الطلاقة اللغوية في كتاب الإبانة للعوثي: دراسة في المصطلح

د. سعيد جبر أبو خضر*

تاريخ القبول: ٢٠٠٩/٦/١٧

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٠٨/٥/١٩

ملخص

تستقصي هذه الدراسة مصطلحات اضطرابات الكلام والطلاقة اللغوية في كتاب "الإبانة في اللغة" للعوثي، وترصد تطوراً تاريخياً في الموروث اللغوي العربي وشيوعها في معجمات المصطلحات المعاصرة، وتدرس ارتباطاً الدلالتين المعجمية والاصطلاحية في تشكيلها، وتكشف عن المصطلحات اللسانية المقابلة لها، وتبين عن إمكانية الإفادة من هذه المصطلحات التراثية في التعبير عن المفاهيم اللسانية العيادية والنفسية. وتتضمن مقدمة الدراسة مراجعة لأهم الدراسات التي تناولت اضطرابات الكلام في التراث العربي والإنساني، والتي تناولت جهود العوثي اللغوية، وتضمنت، كذلك، مسوغات النهوض بها، وأهمية المؤلف والمؤلف. وتلقي الدراسة، في بحث مستقل، الضوء على مصطلحات اضطرابات الكلام في "الإبانة" من المنظور اللساني المعاصر، وتستفيض في تتبع مصطلحات الطلاقة اللغوية الواردة في "الإبانة" كالتسمية، والغمسة، وغيرهما.

وأهم نتائج الدراسة: ملاحظة تصور الدراسات والمعجمات الاصطلاحية عن مواكبة التطور المصطلحي في اللسانيات العيادية والنفسية، واستعمالها، في الأغلب، مصطلحات منبئة عن التراث العربي مقابل المصطلحات والمفاهيم اللسانية الغربية، وإيرادها مصطلحات الطلاقة على نحو مختلف، ووقوعها في أدواء المصطلح كالترادف والاشتراك. وتضمنت الخاتمة لفتاحات لتجنب المشكلات أفقة الذكر.

الكلمات الدالة: (الطلاقة اللغوية، اضطرابات التواصل، علم المصطلح، لسانيات تطبيقية، لسانيات عيادية)

Abstract

This study explores the contributions of al-Awtabi (fifth A.H./eleventh A.D), to the field of communication speech disorders in general, and fluency disorders in particular, through an exhaustive reading in his book entitled Al-Ibanah Fi Alughah. The study consists of two main parts: the first part concentrates on speech disorders terms and notions. The second part, is devoted to verify terms and notions pertaining to fluency disorders. Besides, the study reviews related literature, and sheds light on the significance of the book itself and the conager contributions of the author.

The study concludes that al-Awtabi's concern about speech disorders is due to the attitude of conserving classical Arabic model from distortion, which goes in harmony with other ancient Arab linguists attitude. Al-Awtabi's effort, represents an early awareness of vital principles adapted by contemporary linguistic methods. Furthermore, terms of fluency disorders, as a result, such as Rutah(=cluteering), La'thamah(=stuttering)...etc., are of benefits to modern Arabic Dictionaries and studies to cope with developments that occur in contemporary Linguistics.

(Keywords: Fluency Disorders, Communication Disorders, Terminology, Applied Linguistics, Clinical Linguistics).

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت.

حقوقي النشر محفوظة لجامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

مقدمة

أهداف الدراسة:

تتلي هذه الدراسة الضوء على مصطلحات "اضطرابات التواصل" (Communication Disorders) في كتاب "الإبانة في اللغة" للعوثي، وتتناول، من بينها، بالتحليل التفصيلي مصطلحات اضطرابات الطَّلَاق اللُّغَوِيَّة، وتُقدِّم هذه المصطلحات عند العوثي بما أورده اللُّغَوِيون العرب القدامى، وفي مقدمتهم لغويو القرنين الرابع والخامس الهجريين؛ بغية تبليغ دور العوثي واللُّغَوِيين العرب القدامى في صياغة هذه المصطلحات وصناعتها، والكشف عن تطوُّرها، وتخصُّص ارتباط الدلالة اللُّغَوِيَّة بالدلالة الاصطلاحية في تشكيلها، وإبراز أهمية هذه المصطلحات في التعبير عن المفاهيم اللسانية المعاصرة ورفق المعجمات العربية اللسانية بالمصطلحات التراثية في حقل الطَّلَاق اللُّغَوِيَّة، والكشف عن مدى استفادة الدارسين العرب للمعاصرين معجميين ولسانيين وتربويين - من هذا التراث المصطلحي في مواكبة التطوُّر العلمي في مجال دراسة اضطرابات الطَّلَاق في الغرب.

أهمية الدراسة وبواعثها:

تستفهم هذه الدراسة بواعث موضوعية تتمثل، ابتداءً، في المسؤولية الحضارية المُلقاة على عاتق الدارسين المعاصرين في الكشف عن مخبوء التراث العربي اللُّغَوِي ومُكنوناته المُربَّطَة بالحقول اللسانية المعاصرة كافة - ومن بينها دراسة اضطرابات الطَّلَاق اللُّغَوِيَّة - لتحلُّل الجهود التراثية مكانتها في التاريخ الإنساني العلمي. الدراسات السابقة في اضطرابات اللغة والكلام في التراث.

انبرى جُلَّةُ من الدارسين على اختلاف مشاربهم العلمية لبحث اضطرابات اللغة والكلام في نماذج متعدِّدة من التراث الإنساني والعربي. ولعلَّ أبرز هذه الدراسات - فيما وقفت عليه - المتوفِّرة على الكشف عن إسهامات العرب القدامى في هذا الميدان هي دراسة الباحثين روكي (Rockey D.) وجونستون (Johnston P.) وعنوانها: (Medieval Arabic Views On Speech Disorders: al-Razi (C.865-925))، التي تناولت جهود الرازي وآراءه في دراسة اضطرابات الكلام وأسبابها ومعالجتها، مُعتمِدةً على ترجمات كتابه "الحاوي" العديدة، وفي مقدمتها للنسخة العربية؛ لما لها من فضل بيان على بَقِيَّة النسخ الأخرى^(١). وكذلك، دراسة إدريس بلُمليح وعنوانها "الرؤية البيانية عند الجاحظ"، وتناول الباحث في فصل مستقل من كتابه مُعوقات البيان في الخطاب حسب النظرية اللُّغَوِيَّة عند الجاحظ^(٢). ودراسة وسمية منصور وعنوانها: "عيوب الكلام: دراسة لما يعاب في الكلام عند اللُّغَوِيين العرب"، وتتبَّعت الباحثة في هذه الدراسة جهود اللُّغَوِيين العرب القدامى مُحَدِّدة دوافعهم في دراسة عيوب الكلام، ورصدت مصطلحاتهم، واستقرت منهجهم^(٣). كما درس مازن الوعر "الأمراض اللُّغَوِيَّة من وجهة نظر الجاحظ"^(٤) في كتابه

(١) انظر:

Rockey D., Johnston P., Medieval Arabic Views On Speech Disorders: al-Razi (C.865-925), Journal of Communication Disorders, May 1979, Vol.12, Issuc3,P.P.,222-243

(٢) انظر: بلُمليح، إدريس، الرؤية البيانية عند الجاحظ، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، ص١٤٥-١٤٨.

(٣) انظر: منصور، وسمية "عيوب الكلام: دراسة لما يعاب في الكلام عند اللُّغَوِيين العرب"، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الرسالة الثامنة والثلاثون، الحولية السابعة، ١٩٨٦م.

(٤) انظر: الوعر، مازن، قضايا لسانية في علم اللسانيات الحديث، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٨م، ص٥٣٣-٥٥٦.

"قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث"، ليقدم جهودَ الجاحظ في دراسة الأمراض اللغوية، كالانحراف والتداخل في العملية اللغوية، ويقاربا بما جاء في اللسانيات البيولوجية واللسانيات الاجتماعية، لإحلال جهود الجاحظ مكانتها في البحث اللساني المعاصر.

إضافة إلى هذه الدراسات التي قصدت استجلاء "اضطرابات اللغة والكلام" في جهود العرب القدامى توجهت دراسات أخرى لتسبر أبعاد هذه القضية في التاريخ القديم شأن الدراسة التي اضطلع بها كل من هرولت (Herault C.)، وهشيكى (Heshiki RE.)، ويناتوس (Yannatos D.) وعنوانها: (Notes On Voice and Speech Disorders In Ancient and Byzantine Greece)، واستعرض فيها الباحثون اضطرابات الصوت والكلام في كتابات الأطباء والمؤرخين اليونان القدماء، كجالينوس (Galen) وأرسطو (Aristotle) وإيبوقراط (Hippocrates) وغيرهم. وكشف الباحثون عن عناية هؤلاء العلماء باللغة بتحليل معوقات الكلام ووصفها ومعالجتها على أساس علمي^(١). كما نتجت دراسة كساي (Kassai, I) وعنوانها: (Anomalies In Language and Speech In the History of Linguistics) -المكتوبة باللغة الهنغارية- الجهود البحثية المعقودة في حقل الاضطرابات اللغوية والكلامية عبر تاريخ الدراسات اللغوية^(٢).

ولعل أحدث الدراسات التي هدفت إلى استقصاء جهود اللغويين العرب القدامى في مجال دراسة اضطرابات الكلام هي دراسة الباحث صهييب محاسبيس، وعنوانها: "عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي"، وحاول الباحث فيها الكشف عن هذه الجهود لوضعها في المكانة التاريخية التي تستحقها في الدراسات التي أُرخت لاضطرابات الكلام وعيوبه، مُعْتَمِداً مدخلاً لاسانياً في تفحص هذه الاضطرابات وتوزيعها على مستويات النظام اللغوي: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي^(٣).

وتعكس الدراسات السابقة - في جنبها - توجهات معاصرة جادة ومتنصفة في فثتها جذور "عيوب اللغة والكلام"، وفي تقليبها جهود الأسلاف من الأطباء والبلاغيين واللغويين، وفي النظر إلى أن ما بلغته العلوم اللسانية من تقدم في بحث هذا الموضوع يعد امتداداً لتلك الجهود، وتتويجاً لها.

وعلى الرغم مما تتمتع به هذه الدراسات السابقة من القيمة العلمية الرفيعة، وسمو المعنى، ونبل الدافع، فإن البحث المُستقصي في كتابات العرب القدامى لا يزال مُشرعاً على مصراعيه، لاتساع هذا الموروث وغناه، وقلة الدراسات - كما ونوعاً - المتخصصة في جهود أعلامه. فضلاً على ذلك، فالجاحظ، بوصفه علماً في علم البيان العربي، قد حظي بصيب الأسد من عناية الدراسات المتخصصة بجهود الأعلام، كما أن الأطباء والفلاسفة حظاً وافراً من هذه الدراسات، أما الدراسات الأخرى فيلحظ اتساع ملامتها، وتنوع مصادرها، مما يقضي إلى بناء تصورات عامة حول "اضطرابات الكلام واللغة" في التراث العربي، يصعب تعميم نتائجها والاطمئنان إلى دقة أحكامها. وأحسب أن الحاجة غدت ماسة إلى تحديد مصدر لغوي وتخليط الضوء على اضطرابات الكلام واللغة فيه.

(١) انظر:

Rev Laryngol Otol Rhinol. 2000;121,5:327-331، على الموقع الإلكتروني:

(٢) انظر:

Nyelvtudományi Közlemények (Linguistic Studies) 2004, vol:101, number; pp.91-123.

على الموقع الإلكتروني:

<http://www.nyttud.hu/nyk/101/index.html>

(٣) انظر: محاسبيس، صهييب سليم، عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي، (رسالة ماجستير)، إشراف: معبد جبر أبو خضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، ٢٠٠٦م.

ولمزيد دقة فإن المرجو تحديد جانب من هذه القضية كالصياغة المصطلحية في المصنف المستهدف، أو أنماط اضطرابات الكلام وتصنيفها فيه، أو أسباب اضطرابات الكلام فيه وعلاجها، وغيرها من الجوانب المتخصصة والمهمة.

أهمية كتاب الإبانة في اللغة ومسوغات دراسته.

وتأسيساً على ما سبق، فإن الباعث على الاضطلاع بموضوع الدراسة الحالية - فيما أحسب - يعد مشروعاً، ومسوغاً علمياً ومنهجياً. ويتعمق هذا الباعث حين النظر في قيمة كتاب الإبانة في اللغة العربية، ومكانته العلمية العالية، وموضوعاته المهمة، فوصفه طائفة محققيه بأنه: "مُصنّف ضخم يضم ثروة لغوية وصرفية وصوتية، كما يضم ألواناً متنوّعة في ثنائيه"^(١)، وبأنه "موسوعة لغوية، أقامها العوتبي اللغوي البارز على أساس مسائل وقضايا لغوية. فتحدث عن معنى الإبانة، ثم ألقم باباً على "اللسان والفصاحة والبيان"، وألقم فصلاً في "اللحن"، وما إلى ذلك من طرح مسائل العربية وقضاياها في مجلدي المخطوطة"^(٢). وتبوأ هذا الكتاب مكانةً عاليةً لغزارة مادته وضخامتها، فحمل صفات مؤلفه، وجعل صاحبه في نظر الدارسين 'لغوياً'، ورواية شعر، ومؤرخاً، وعالم أنساب، وخبيراً في البيئة ومشاطها..."^(٣).

وبعد مُصنّف الكتاب وهو العلامة سَلَمَةُ بن مُسْلِم بن إبراهيم بن مسلم بن عيسى العوتبي^(٤) - يُتَّخَذُ العام ٣٢٥هـ/٩٣٦م تاريخاً مقارباً لولادته، ويرجح أنه أدرك بزوغ القرن الخامس الهجري^(٥) - يُعدّ معلّمةً من معالم الدراسات اللغوية والفقهية في عُمان، وعلماً شامخاً من أعلام التراث اللغوي العربي. وقد أضفى عليه المؤرخون صفات منها: الشيخ، العالم، العلامة، الماهر، الحنّ، الفقيه، الطاهر، الإمام، النزيه. وإطلاق هذه الصفات دليل على أن شخصيته قد حوت الشئز في العلم والدين معاً^(٦). و'للعوتبي' عددٌ جَمٌّ من المؤلفات في الفقه واللغة والأنساب والأدب والحكم والأمثال^(٧)، تمكس غزارة علمه وتضلّعه من علوم الدين والدنيا. ومن أهم هذه المؤلفات - خلا كتاب الإبانة في اللغة - "الضياء" وهو موسوعة فقهية، يقع في أربعة وعشرين مجلداً، و"الأنساب" ورسالة

(١) للعوتبي، سلمة بن مسلم، كتاب الإبانة في اللغة العربية، تحقيق عبد الكريم خليفة وآخرون، وزارة للتراث القومي والثقافة، ط١، مسقط، سلطنة عُمان، ٩٩٩م، (مقدمة للتحقيق، ص ٢٧).

(٢) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٢٨.

(٣) انظر: البرادعي، خالد محي الدين، 'هذه الموسوعات الثلاث'، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد ٩٧٦، تاريخ ١٠/١/٢٠٠٥م.

(٤) نظراً لما اكتشف نسب العلامة العوتبي الصحاري وتاريخ ولادته من لبس وغموض فتعتمد هذه الدراسة في توثيق نسبه وتاريخ ولادته على ما توصل إليه حسن خميس الملخ في دراسته القيمة: "الدراسات اللغوية في عُمان في القرنين الرابع والخامس الهجريين: العوتبي نموذجاً"، الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عُمان الشقيقة قديماً وحديثاً، تحرير: إبراهيم بحار، وحسن الملخ، منشورات جامعة آل البيت، ٢٠٠٢م، ص ٤١١.

(٥) انظر لمزيد بيان: المرجع نفسه، ص ٤١١-٤١٢.

(٦) انظر: الدسوقي، إبراهيم، 'معجم الإبانة للعوتبي'، قراءات في فكر العوتبي الصّحاري، ط٢، المنتدى الأدبي، وزارة التراث والثقافة، عُمان، ٢٠٠٣م، ص ١٣.

(٧) انظر: جزار، صلاح محمد، أثر كتاب العين للخليل بن أحمد في كتاب الإبانة للعوتبي، الخليل بن أحمد الغراهدي، إعداد وتحرير: سعيد جبر أبو خضر، ومحمد محمود الدويهي، ط١، المجلد الأول، منشورات جامعة آل البيت، ٢٠٠٧م، ص ٤٣٣.

وجُهِها إلى علي بن علي وأخيه الحسين بن علي في كلوه بشرق أفريقيا، بين فيها أصول المذهب الإباضي، ورسالة أخرى إلى ولديه، لحثهم على التمسك بالدين وللمعرفة أحكام الإسلام^(١)، وغيرها.

ولا ريب في أن عالماً بهذه المنزلة السنية قدّم المكتبة العربية موسوعات خطيرة في مناح علمية شتى، وأغنى المكتبة العُمانية بسفر - الإبانة في اللغة - عدّه كثير من الدارسين "الكتاب الأهم في المكتبة العُمانية من بين سائر الكتب اللغوية العُمانية القديمة والحديثة"^(٢) - يستحق أن يُفرغ الدارسون الجهد في استقصاء آثاره العلمية وتحليلها، لا سيّما أن هذه الآثار، في العموم، قد تمخّضت في حقبة تاريخية اتصفت بالازدهار العلمي والثقافي^(٣)، ولأن تأليف كتاب "الإبانة في اللغة"، على وجه الخصوص، قد توجّ تأليف العوتبي؛ فالراجع لدى الدارسين أن كتاب الإبانة وضعه مؤلفه في أواخر حياته^(٤).

الدراسات المسابقة في كتاب الإبانة في اللغة.

ويلحظ المنتفع عبثاً عدد من اللغويين المعاصرين بكتاب "الإبانة في اللغة"، ومن أبرز هؤلاء الدارسين جاسر أبو صفية، في دراسة له بعنوان: "الإبانة في اللغة لسلمة بن مسلم العوتبي" المنشورة في عام ١٩٩٩م^(٥)، وحسن الملح في درسته "الدراسات اللغوية في عُمان في القرنين الرابع والخامس الهجريين"، المنشورة في عام ٢٠٠٢م^(٦)، وإبراهيم التسوقي في دراسة له بعنوان: "معجم الإبانة للعوتبي"^(٧)، ومحمود الزلامي في دراسته "العوتبي ومنهجه في الصياغة المعجمية في الإبانة: دراسة وصفية تحليلية" في عام ٢٠٠٤م، وسكينة محمود موعد، في دراسة لها بعنوان: " دخول بعض الصفات على بعض من خلال كتاب (الإبانة في اللغة للصحاري، المنشورة في عام ٢٠٠٦م^(٨)، وصلاح محمد جرار، في دراسته التي تحمل عنوان: "أثر كتاب العين للخليل بن أحمد في كتاب الإبانة للعوتبي"، المنشورة في عام ٢٠٠٧م^(٩).

(١) انظر: السبائي، أحمد بن سعود، "العوتبي نسابة"، قراءات في فكر العوتبي الصحاري، ط٢، المكتب الأدبي، وزارة التراث والثقافة، عُمان، ٢٠٠٣م، ص ٧٧.

(٢) انظر: www.Alwattan.com/graphics/٢٠٠٦/١/oct.

(٣) انظر العوتبي، الإبانة، (مقدمة للتحقيق، ص ١٧). وانظر: السالمي، عبد الرحمن، تعدية العوتبي وترجمته، مجلة نزوى، عُمان، العدد ٢١، على الموقع الإلكتروني: <http://www.nizwa.com/browse21.html>.

(٤) انظر: العوتبي، الإبانة، (مقدمة للتحقيق، ص ٢٥-٢٦).

(٥) أبو صفية، جاسر خليل، الإبانة في اللغة لسلمة بن مسلم العوتبي، مجلة الدراسات اللغوية، للسعودية، للعدد: ٢، يوليو - سبتمبر، ١٩٩٩م، ص ١٧٣-١٩٧.

(٦) الملح، حسن خميس، "الدراسات اللغوية في عُمان في القرنين الرابع والخامس الهجريين: العوتبي أنموذجاً"، الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عُمان الشرقية قديماً وحديثاً، ص ٣٩٥-٤١٨.

(٧) انظر: التسوقي، إبراهيم، معجم الإبانة للعوتبي، قراءات في فكر العوتبي الصحاري، ص ٧-٦٠.

(٨) موعد، سكينة محمود، "دخول بعض الصفات على بعض من خلال كتاب (الإبانة في اللغة للصحاري)،" مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، للعدد: ١٠٤، لسنة: ٢٦، كانون الأول ٢٠٠٦م، وانظر الموقع الإلكتروني: (www.awu-dam.org/trath/104/turath104-005.htm).

(٩) جرار، صلاح محمد، "أثر كتاب العين للخليل بن أحمد في كتاب الإبانة للعوتبي"، الخليل بن أحمد الفراهيدي، المجلد الأول، ص ٤٣١-٤٤٤.

إضافة إلى هذه الدراسات اللغوية، قدّمت مجموعة وافية أخرى من الأوراق العلمية في 'ندوة العوتبي الصحاري الدولية' التي عقدت في جامعة آل البيت، بتاريخ ٢٤-٢٥ آذار ٢٠٠٨م. وتناولت عددٌ من هذه الأوراق العلمية جهودَ العوتبي اللغوية والبلاغية والتفذية والأدبية^(١). وأبرز هذه الدراسات اللغوية: "الشواهد الشعرية في كتاب الإبانة للعوتبي" لمحمود إبراهيم الرضواني، و"صيغة التعجب في كتاب الإبانة" لصلاح محمد جرار، و"الدرس الدلالي عند الإمام سلمة بن مسلم" لإدريس مقبول، و"قضايا اللغة وجمالياتها في كتاب الضياء للعوتبي الصحاري"، لطارق سعد شلبي، و"الجهود اللغوية للعوتبي وقيمتها العلمية"، لمحمد البوقاعي، و"المصطلح الصوتي عند العوتبي في كتابه الإبانة" لزبد القرالة، و"الطلاقة اللغوية ومعوقاتها: دراسة مصطلحية في كتاب الإبانة للعوتبي"، لسعيد أبو خضر، و"المباحث النحوية في كتاب الإبانة في اللغة العربية للعوتبي الصحاري" لعبد الرزاق جرار.

ومن الملحوظ أن جلّ الدراسات المعاصرة المذكورة قد أفردت للبحث في جهود العوتبي لغويّاً في ضوء كتابه 'الإبانة في اللغة'، وأنّ هذه الدراسات المتخصصة تمثّل وعياً معاصراً بقيمة للكتاب وأهميته العلمية. ومن الملحوظ، كذلك، أن هذا الاهتمام العلمي بكتاب الإبانة جاء متأخراً زمنياً؛ وربما يُعزى السبب في ذلك إلى أن الكتاب رأى للنور مطبوعاً مُحققاً منذ عقد من الزمان تقريباً^(٢)، ومنذ نشره توالى الدراسات تُعزى، لتسلطّ الأنواء على فائضه ومُكوّناته.

ومع حرص هذه الدراسات المعاصرة على تناول أبواب الكتاب وموضوعاته، ومراجعة مادّته اللغوية والمعمّية ومصادرها، والبحث في منهج تأليفه، وتحليل مستويات اللّغة فيه: الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة، والوقوف على بعض قضاياها النحويّة والمعمّية المتخصّصة، ومقارنته بمادّته ومنهجه بما ورد في كتب اللّغويين السابقين والمعاصرين لمؤلفه — غير أنّ مصطلحات 'اضطرابات الطلاقة اللغوية' الواردة في كتاب 'الإبانة' لم تحظ إلا بالإشارات والإمحاءات المبوّنة عرَضاً في طيّ بعض هذه الدراسات في مواطن استعراضها محتوى الكتاب ومادّته، شأن ما تقدّم به حسن الملخ في دراسته، المشار إليها آنفاً، قائلاً: "أما التمهيد فتضمّن حديثاً عن معنى اللسان والفصاحة والبيان...وعندما تحدّث العوتبي عن أصول اللغة لم يفرّق منهجه الذي رسم خطّه في اللّسان والفصاحة والبيان، فتحدّث عمّا يعترى اللّسان من علل النطق وعيوبه، مثل الرقة، والتمتمة، والتأتأة، والغافاة، والغلّة، والحبسة، والغمغمة، والطمطمة، وغيرها، ثم تحدّث عن محاسن الكلام المسموع...^(٣)".

(١) تضمنت جلسات الندوة الأوراق الآتية التي تورّفت على العوتبي بلاغياً وبناداً وأديباً في كتابه الإبانة، وهي: تلقى الخطاب البلاغي في كتاب الإبانة للعوتبي" لأمين يوسف عردة، و"العوتبي وتلقى الشعر الجاهلي في كتابه الإبانة" لمحمد العيسى، و"السبيل لقراءة الشعر عند العوتبي الصحاري في كتاب الإبانة في اللغة العربية: لبينة القضاء، و"الملح البلاغي في كتاب الإبانة للعوتبي" لعمر راشد وحسين كنانة، و"البلاغة عند العوتبي" لإبراهيم أبو علوش، ومنهج العوتبي في التأليف في كتاب الإبانة في اللغة العربية: (للحقيقة والمجال نموذجاً) لعبد الباسط مرشدة، و"أثر الكفاة في كتاب الإبانة للعوتبي" لسيد إسماعيل علي، ومن أهل عمان: شخصيات ضالّة في الإبانة للعوتبي" لعبد الجليل عبد المهدي، و"اضطراب الرواية في التأليف عند العوتبي: أخبار امرئ القيس نموذجاً" لأحمد المشرف الحراحشة، و"الأثر الإقنيمي في أدب العوتبي" لأحمد عبد الرحمن الشميري، و"الإبانة بن منهج العوتبي في كتابه الإبانة في اللغة العربية" لنبلى توفيق المعري، و"الأمثال في كتاب الإبانة للعوتبي: دراسة نقدية" لملهم طه الحراحشة، و"الأمثال عند العوتبي: كتاب الإبانة شامداً" لمحمد محمود الدروبي.

(٢) وقّع محققو الكتاب في زمة مقدمة لتحقيق بتاريخ ١٩٩٧/٩/٢٠م، وصدرت الطبعة الأولى من كتاب 'الإبانة في اللغة' في عام ١٩٩٩م، وبناء على ذلك تقدّر الدراسة بمئذٍ سنوفاً تقريباً.

(٣) الملخ، حسن خويس، "الدراسات اللغوية في ضان في القرنين الرابع والخامس الهجريين: العوتبي نموذجاً"، ص ٤١٣-٤١٤.

وبناء على هذا، ارتأت الدراسة الحالية أن تستقصى مصطلحات "اضطرابات الطلاقة اللغوية" في الكتاب، آخذة في الحسبان أن تلمس الدارسين هذه المصطلحات في الكتاب بشكل اعترافاً صريحاً بتغلغل هذه القضية في نسج خطة الكتاب وبنائه، وأنها تتطلب بحثاً جاداً يلم أشناتها ويحلل مكوناتها. اهتمام العوتبي باضطرابات الكلام.

لا غرابة في أن يشكل الكلام ومعوقاته ظاهرة لغوية تفتش رقعة متميزة في مصادر التراث اللغوي العربي، وأن تحظى قضايا الكلام فيها باهتمام بالغ، فالفصاحة والبيان من أظهر مقومات العربية ومن أبرز خصائص نماذجها الأدبية المرموقة، فاستنبط اللغويون العرب القدامى خصائص الفصاحة والبيان في مستويات العربية الفصحى: صوتياً وصرافياً ونحوياً ومعجمياً ودلالياً، ووضعوا قواعد نظامها اللغوي؛ لتضبط الأداء اللغوي وتحفظه من التغير والتشويه. وعلى هذي من هذه القواعد والمعايير وقفا على: اللغات المذمومة، وكلام الأعاجم، واللحن، وغيرها من المستويات والأداءات التي جاءت مخالفة لتلك المعايير.

ويأتي اهتمام العوتبي بالكلام ومعوقاته منسجماً، نهجاً وتطبيقاً، مع توجه سابقه ومعاصريه: لغويين (معجميين، وفهاء لغة)، ونحويين (علماء النحر والصرف والأصوات)، وبلاغيين (علماء البيان والمعاني). فكتاب الإبانة "مر كتاب في الإبانة عما يحتاج إليه متعلم العربية حتى يستقيم كلامهم وفق كلام العرب، وكلام العرب لا ينفك فهمه إلا بإدراك أصوله في التصريف والنحو والبلاغة؛ لأن هذه العلوم أصول العربية، يبنى عليها فهم دقائق الألفاظ، وفصيح الأمثال، وجميل الأقوال، ودقيق أي القرآن الكريم، وغيره من النصوص العربية الموسومة بالفصاحة والبلاغة"^(١)، وتتبدى هذه الفكرة – بوصفها نهجاً ترسم العوتبي معالمه في تأليف كتابه – في قوله: "وقد ألفت هذا الكتاب في أصول اللغة... وذكرت أحرافاً من دخيل غيرها فيها، وفشرت شيئاً من الكلام الجاري على ألسنتهم، لا يعرف معناه، ولا يوقف على فحواه، دون الغريب..."^(٢). ويؤكد صدق هذا النهج لدى العوتبي ما توصل إليه حسن الملح، حيث يقول: "وجاء سائر الكتاب إبانة عن معانٍ وتعبيرات وكلمات يكثر استعمالها على غير وجهها"^(٣).

فضلاً على ذلك، يشي عنوان كتاب "الإبانة في اللغة" بنهج صاحبه، إذ يستمد العنوان دلالاته اللغوية من معاني: الوضوح والظهور والإعراب والاميز، لتبلغ رغبة العوتبي في إفهام مادة كتابه، فيقول: "وإلى الله تعالى للرغبة في إفهاميه، وإقداري على إتماميه..."^(٤).

إذن، فالنهج العلمي المبني في التأليف – لدى العوتبي – يراعي ربط الاستعمال بالمعيار، وتقديم أبدع وجوه الاستعمال في نماذج فصيحة من لغة العرب، وميز العربية الفصحى من الدخيل والمذموم، وإمطاة الثام عما اعتري العربية من غموض اللفظ والاستعمال؛ لكي يبلغ المتعلم مستوى إتقان النموذج اللغوي الأصح فهماً وإنتاجاً، فيتجنب عنده ما يعثر كيونته اللغوية الفردية والاجتماعية من معوقات "كعجز الأداء اللغوي عند الفرد: كالتعسمة، والتثلم، واللجلة، والعي...، ومعوقات تزد إلى سوء التعلم، وسوء التعليم، ومعوقات أخرى تزد إلى سوء ممارسة اللغة بسبب وجود مستويات لغوية متعددة أحدها فصيح... والباقي عامي"^(٥).

(١) حسن خميس الملح، للدراسات اللغوية في عُمان في القرنين الرابع والخامس الهجريين: العربي نموذجاً، ص ٤١٢.

(٢) انظر: العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٥.

(٣) الملح، حسن خميس، "الدراسات اللغوية في عُمان في القرنين الرابع والخامس الهجريين: العوتبي نموذجاً"، ص ٤١٨.

(٤) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٥.

(٥) انظر: استنبط، سمير شريف، للمشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والإدراجية، (د.م)، ١٩٩٥، ص ٢٧.

أضواء لسانية على اضطرابات التواصل عند العوثي واللغويين العرب القدامى.

لعمري لا أجنب الصواب إن قلت: إن 'كتاب الإبانة في اللغة' في مستوييه: النظري والتطبيقي مُجَرَّدٌ حدائثٌ لمقارنته اللسانيات التواصلية^(١) — وهي أحدث فروع اللسانيات الاجتماعية وأظهرها — في فهم طبيعة اللغة ووظيفتها في خدمة المجتمع، وعلاقتها بالأفراد والمجتمع، ودورها في عملية التواصل اللغوي. فتتمثل محافظة اللغويين العرب القدامى، ومن بينهم العوثي، على "النمط اللغوي الصحيح الذي اتفق عليه العرب قبل الإسلام، وتواصلوا به في مناحي الحياة الأدبية والاقتصادية والسياسية، وأكدوا الإسلام وركزوا عليه، إلى درجة أن الوحي نزل باللسان العربي المشترك"^(٢) — تمثل وعياً بوظيفة اللغة في التواصل الاجتماعي، وأهميتها في توحيد أفراد المجتمع.

والتواصل في النظر اللساني الحديث "عملية تبادل للمعلومات بين أفراد المجتمع اللغوي، بغية تحقيق الحاجات الأساسية والتعبير عن الأحاسيس والمشاعر المختلفة من ناحية، والتواصل الاجتماعي من ناحية أخرى"^(٣). وللغة، في اللسانيات الاجتماعية، هي الأداة الرئيسة في عملية التواصل اللغوي، ويتم بها إظهار إنجازات الإنسان في المجالات المختلفة: الاجتماعية والثقافية والنفسية والعلمية.^(٤)

ومن المعلوم أن التواصل اللغوي يقوم على أربعة أركان، هي: المرسل، والمستقبل، وأداة الإرسال (كالكلام المنطوق أو المكتوب)، ومادته (الأفكار والمعاني). وهذه الأركان الأربعة أساسية في عملية التواصل اللغوي؛ إذ يسقط أحدها تنسقط عملية التواصل^(٥).

ويظهر وعي العوثي بأهمية هذه الأركان في إيلائه الأداة، بخاصة، عناية جمة، فكان حريصاً في كتابه على مراعاة سلامة النظام اللغوي للعربية الفصحى، والتنبه على ما قد يشوبه ويتسرب إليه من مناحي اعتلال نظام الرموز اللغوية وقواعدها، التي تعوق التواصل^(٦)، فجنده ينبه إلى ما قد يعثر نظام العربية الفصحى الصوتي من تغير، بسبب التأثير اللهجي أو تأثير اللغة الأولى في الأداء اللغوي، فيقول: "وقد يقومون الهاء مقام الحاء لأنها أختها. فيقولون مدهه أي مدحه، والمده، أي المدح، وأجلته أي أُلْجَحَ. وفي كلام الفرس يوجد كثير من ذلك. يقولون: هيببي يريدون حيببي، وأهية أي أحبه، وخرج علي أي خرج علي... وأهد، يريدون أهد"^(٧).

وغني عن التفصيل ما في قول العوثي من ملاحظة لما قد يتسرب إلى المستوى الفصيح من لكنة الأعاجم، نتيجة توسع الدولة الإسلامية وما صاحبها من تغير طارئ على البنية السكانية للمجتمع العربي.

ونجد العوثي يسوق في باب اللحن أمودجاً دالاً — فيما أرى — على أن التفكير الجمعي يُملي وجوده على الفرد، باعتبار انتماء الفرد إلى النظام اللغوي للجماعة، إذ يورد "أن رجلاً من الأشراف دخل على زياد بن أبيه،

(١) انظر: استيتية، سمير شريف، اللسانيات، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٥م، (الفصل الثالث: اللسانيات التواصلية)، ص ٦٧٥.

(٢) انظر: استيتية، سمير شريف، المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية، ص ٤٣-٤٤.

(٣) انظر: فارغ، شحدة، وآخرون، مقدمة في اللسانيات المعاصرة، ط٢، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٤) فارغ، شحدة، وآخرون، المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٥) انظر: استيتية، سمير شريف، المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية، ص ٤٢.

(٦) يقصد بالتواصل، في اللسانيات النفسية، قيام الفرد بإرسال إشارة إلى فرد آخر أو أفراد آخرين من نفس الصنف، بحيث يقدم الآخرون استجابات تخدم أغراض صاحب الإشارة أو تخدم مصلحة الصنف، الحمداني، موفق، علم النفس اللغوي من منظور معرفي، ط١، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م، ص ١٣.

(٧) العوثي، الإبانة، المجلد ٢، ص ٣٨٦.

فقال: إن ألبنا هلك، وإن أخونا غصبنا على ميراثنا من ألبنا. فقال زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضيعت من مالك^(١). فالخروج على سنن اللغة وقواعدها بشكل خرقا لسلامة النظام اللغوي للجماعة، ولا وجود لفرد - في نظر اللسانيات التواصلية - يختار لغته بنفسه، وإنما هي لغة المجتمع. ويتفاوت الأفراد في تطبيق قواعد هذا النظام بحسب موقعهم من الفهم، وحظهم من التربية اللغوية^(٢).

وبعد، فليس مستغرباً في ظل الأدهار العلمي في الدراسات اللغوية في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ونمو الوعي بالخطر الذي يهدم الإبانة بالعربية، نتيجة التمازج اللغوي في البيئة العربية - أن يزخر كتاب الإبانة بمصطلحات واصفة لمكونات التواصل اللغوي بالمستوى الفصيح، وما يعوق هذا التواصل.

مصطلحات التواصل اللغوي وموقعاته في كتاب الإبانة في اللغة.

أولاً: مكونات التواصل اللغوي.

معلوم أن اللغة المنطوقة من أكثر الوسائل المستخدمة شيوعاً في عملية التواصل، ولتحقق وظيفة هذه اللغة في التواصل الفعال فلا بد من سلامة مكونات أركان عملية التواصل اللغوي، وهي: "الصوت، والنطق، واللغة، والطلاقة، والسمع"^(٣).

أولاً: الصوت وهو جانب أساسي في عملية التواصل، ولا يتحقق التواصل الشفوي إلا به، ويؤدي اعتلاله إلى الاختصار على الإشارات. وهو مرآة الإنسان، يحمل معاني لا تؤديها الكلمات والجمل منفردة كالغضب والسرور، ولا بد أن يكون طبيعياً وأن يستخدم بشكل صحيح حتى تتم عملية التواصل بشكل مقبول اجتماعياً، وأي اضطراب فيه قد يؤدي إلى تعطيل عملية التواصل أو جعلها غير مقبولة اجتماعياً. وعوامل اضطرابه قد تكون عضوية، أو نفسية، أو سلوكية^(٤).

ثانياً: النطق، وهو معنى إنتاج الأصوات اللغوية، وبحركة الأعضاء على نحو مُحَدِّث ودقيق لتنتج الأصوات المرغوبة. ويضطرب النطق عندما لا يستطيع المرء نطق الأصوات في لغته بشكل صحيح. وعوامل اضطراب النطق قد تكون وظيفية لا يعرف سببها على وجه اليقين، وقد تكون عضوية، كتعطل أعضاء النطق عند إصابة الدماغ، فلا تتمكن من إنتاج الأصوات المطلوبة^(٥).

ثالثاً: الطلاقة اللغوية، وهي انسياب الكلام وسلاسته وجريانه بشكل متواصل وبمعدل طبيعي ومن غير بذل جهد يُذكر، وهي شرط لتحقيق الكلام الطبيعي^(٦).

رابعاً: اللغة (المنطوقة)، وتتكون من المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية^(٧).

خامساً: السمع، ودوره أساسي في استيعاب الكلام المنطوق وتحديد معانيه^(٨).

(١) العوفي، الإبانة، المجلد ١، ص ١٨.

(٢) انظر: استيكية، سمير شريف، اللسانيات، ص ٦٨٠.

(٣) فارح، شحدة، وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص ٢٤٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٤٣-٢٥٤.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٤٤.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٧) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

(٨) المرجع السابق، ص ٢٤٦.

ثانياً: اضطرابات التواصل اللغوي.

اضطرابات التواصل على ثلاثة أنواع، أولاً: اضطرابات الكلام، وتتضمن: اضطرابات الصوت، واضطرابات النطق، واضطرابات الطلاقة. وثانياً: اضطرابات اللغة، وتشمل جانباً أو أكثر من الجوانب اللغوية، كالصرف والنحو والدلالة. وثالثاً: اضطرابات السمع، وترجع عادةً إلى وجود مشكلة في الجهاز السمعي^(١).

ثالثاً: مصطلحات التواصل اللغوي في كتاب الإبانة.

ويُفَضِّي استقراء كتاب الإبانة إلى ملاحظة أن العوتبي قد أودع فيه مادةً معجميةً ومصطلحيةً تعبرُ بدقةً عن مفاهيم أساسية في حقل التواصل اللغوي ومُعوَّلَتُهُ. فالمرسلُ له نصيبٌ وافرٌ من المصطلحات الواصفة لآلياته الكلامية، والدالة على مكنة التواصل والإصصال لديه، وعلى توافُرِ مقومات ذلك كله: صوتاً، ونطقاً، وطلاقةً. فأورد في مواضع متفرقة من كتابه: "الرجلُ المُعَرَّبُ"^(٢)، إذا بَيَّنَّ ولَوْضَحَ، والمنطِقُ البليغُ والناطقُ: البَيِّنُ^(٣)، والبَيِّنُ من الرجال: الفصيح... ورجلٌ بَيِّنٌ وجَهِيرٌ إذا كان بَيِّنَ وجَهِيرَ المنطقِ^(٤)، و"البليغُ الذي يبلُغُ بعبارة لسانه كُنَّةً ما في قلبه، وقد بَلَغَ يَبْلُغُ فهو بليغٌ إذا اسْتَحْكَمَ"^(٥)، و"رجلٌ فصيح، قد فَصَحَ فصاحةً، وقد أَفْصَحَ الرجلُ بالكلام... والفصيح في كلام العامة المُعَرَّبُ... ورجلٌ نَبَّارٌ بالكلام: فصيحٌ بليغ... وكلُّ شيءٍ قد رَفَعَ شَيْئاً"^(٦) والفصيح: ما يَتَكَلَّمُ... واللَّوْءَةُ: القادرُ على الكلام، فاه بفوه وفُهِتُ أنا، كُلُّهُ من النطق وللكلام. والفصيح: البَيِّنُ اللِّسانُ واللَّهْجَةُ"^(٧)، و"فاه بفوه بالكلام: إذا لَفَظَ به..."^(٨)، "وأعربَ الرجلُ: إذا أَفْصَحَ القَوْلَ، وأعربَ الكلامَ وأعربَ به"^(٩).

وقد تبدو هذه المصطلحات — للوهلة الأولى — مترادفةً، لكنَّ تغليبَ العوتبي — وهذا ذلِّيه — دلالةَ اللفظ ومعناه المعجمي يكشف عن فروقٍ دقيقةٍ بين مفاهيم هذه المنظومة. فالبلِغُ تَدُلُّ على كفاية المتكلم اللغوية التامة، فهو قادر ذهنياً وعضوياً على نقل مادة المعنى (المشاعر والأفكار والمعلومات) بالأداة (اللغة) إلى المُسْتَقْبَلِ، وقد استحكم من ذلك كله.

أما دلالة "الفصيح" فتضفي جوانبَ مهمةً أخرى من عملية التواصل، فهي تركزُ على خصائص الأداة (اللغة المنطوقة)، وموافقتها لنظام العربية الأموزج: صوتياً وصرافياً ونحويّاً ودلاليّاً، مما يسمح بإيصال المعنى، بسبب الاستخدام المثالي للغة. ويُلَمَحُ لِقِرْآنِ دلالة "الفصاحة" بضدّها "العُجْمَةُ" في سياق استخدامها في كتاب الإبانة — إلى المستوى النقي من العربية، مقابل المستوى اللغوي العربي المشوب بعُجْمَةِ اللغات الوافدة على العربية، فيذكر العوتبي أن الأعجمي "هو عند العرب الذي في لسانه عُجْمَةٌ، وإن كان من العرب"^(١٠)، وعليه، فالفصيح من يستخدم

(١) فارح، شحدة، وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) عوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ١٢.

(٣) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٢٤.

(٤) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٢٦٣.

(٥) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٢٧١.

(٦) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٤٢.

(٧) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٦٣٢.

(٨) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٦٣٣.

(٩) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٩٤٤.

(١٠) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٤٢.

العربية بصورتها المثالية سواء أكان عربي الأصل أم أجنبي، ويُقال للرجل إذا لم يكن يتكلم بالعربية فتكلم بها: قد فصّح، وإذا كان يتكلم بالعربية ثمّ جادت لغته: قد فصّح^(١).

أما المنطوق، والنطق، والمفردة، فصفات ترتبط بمكوّن نطق اللّغة في التواصل اللّغوي، وبها يتحقّق البيان والوضوح لدى المتكلم؛ بسبب القدرة على إنتاج الكلام، وسلامة الأعضاء النطقية، فليس ثمة ما يعوق إنتاج الكلام عند المتكلم. ويأتي الوضوح والبيان في "الجهير" و"النبّار" لارتباطهما بالطلاقة الكلامية لدى المتكلم، إذ يتطلب الكلام في التواصل اللّغوي درجة من ارتفاع الصوت وظهوره، ليكون الكلام طبيعياً ومقبولاً، ليتحقّق التواصل.

إضافة إلى ذلك، يقدّم العوثبي في كتابه عددا من المصطلحات الدالة على أهمية الصوت في العملية التواصلية، إذ يحمل الصوت قيمة معنوية لا تُعبّر عنها الكلمات والجمل منفردة، نحو المعاني الآتية التي حملها الصوت في ارتفاعه وانخفاضه، "الصياح": "صوت كلّ شيء اشتد^(٢)"، و"الصرخة": "من الصياح عند المصيبة والفزع"^(٣)، و"الصرّة": "شدّة الصياح"^(٤)، و"تفّص الصوت": "ارتفع"^(٥)، وإذا رفعت الصوت فدعوت إنساناً قلت: "نوّه"^(٦). فالفرق الدلالية دقيقة في درجة علو الصوت وطبقته حين يشتدّ الصياح يكون صرّة، واشتداد الصياح في موقف الحزن دليل على المصائب الأليم، وارتفاع الصوت بنغمة مرتفعة تعني نغمة التنويه.

وعليه، فمثل هذه الدلالات اللّغوية المتصلة بالصوت تؤكد وعياً بأهمية الصوت في العملية التواصلية من ناحية، وتقدّم مصطلحات ترتبط بوصف الصوت الطبيعي في التواصل بالعربية.

رابعاً: مصطلحات اضطرابات الكلام في كتاب العوثبي.

في مقابل المصطلحات الدالة على التواصل اللّغوي المثالي نجد العوثبي يُقدّم في كتابه مصطلحات تعبّر عن مفاهيم تنضوي في منظومة اضطرابات الكلام؛ لما ينجم عن هذه الاضطرابات من معوقات في عملية التواصل، ويكون مصدرها: الصوت، والنطق، والطلاقة. والمصطلحات الدالة على هذه المعوقات للكلامية تظهر في مواضع متفرقة من كتابه، وقد عرّفها بوسائل متنوعة، وهي:

"الخبسة": "إذا خبّس اللسان عن الاستعمال اشتكت عليه مخارج الحروف. وزعم محمد بن الجهم أنه أطال الفكر في أيام محاربة الزُّط، فاعتزته خبسة في لسانه"^(٧)، و"الخبسة: تُعزّزُ الكلام عند إرادته"^(٨)، و"العقدة": "وتقول عقيد الرجل وعقيد المرأة، واللعت: اعتدّ وعقداء: إذا كانت في لسانه عقدة وغلط في وسطه، وهو عسير الكلام، والفعل عقيدٌ يعقِدُ عقداً..."^(٩)، وقال الله تعالى، حكاية عن موسى عليه السلام: {وَلَخَلَّ عَقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَقُولُ^(١٠)}. والعقدة: رتّة كانت في لسانه، لجمرةٍ بادر إدخالها في فيه إذ راعته عقوبة فرعون حين أخذ موسى، عليه السلام،

(١) العوثبي، الإبله، المجلد ١، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٣٦٢.

(٣) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٣٦٣.

(٤) المكان نفسه.

(٥) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٤٠٨.

(٦) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٤٢٣.

(٧) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٣٧.

(٨) المصدر السابق، المجلد ١، ص ٣٨.

(٩) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٥٥١.

(١٠) القرآن الكريم: سورة طه، الآية ٢٧-٢٨.

بلحيته وهو لا يعقل. وقال فرعون: هذا عدو لي. فقالت امرأته: إنه لا يعقل^(١)، و"الرئة": عجلة في الكلام، تقول: رجلاً أرتأ. وقال ابن عباس: كانت فيه رئة، ولم يكن يبين الكلام. والرئة: كالريح تمنع منه أول الكلام، فإذا جاء منه شيء انفصل. والرئة تكون غريزة... قال وهب: كان على طرف لسان موسى، عليه السلام، شامة، ولا يعرف أحد، قبله أو بعده، في طرف لسانه شامة، وهي العقدة التي ذكرها الله عز وجل، والعقدة في اللسان عقدة التمام^(٢). و"التَّمَنُّة": أن ترى اللسان يخطئ موضع الحروف، فترجع إلى لفظ كآله التاء والميم، وإن لم يكن بيتاً. والرجل تَمَنَّم^(٣). و"النَّثَاة": التَّزْدَاد في التاء^(٤)، و"الفافاة": التَّزْدَاد في الفاء^(٥)، و"العقلة": التواء اللسان عند إرادة الكلام^(٦)، و"الْتَفُّف": إدخال حرف في حرف^(٧)، و"الْمَغْنَمَة": أن تسمع الصوت، ولا يتبين لك الكلام^(٨)، و"الطَّمْطَمَة": أن يكون الكلام مشبهاً لكلام العجم... والأعجم الطَّمْطَم الذي لا يفهم... والطَّمْطَم: الذي يتكلم بالعربية فلا يفصح شيئاً^(٩)، و"الْكَنَّة": أن يتعرّض على الكلام باللغة الأعجمية^(١٠)، و"الرطانة": تكلم الأعجمية، تقول: رأيت أعجميين يورطنان، وهو كل كلام لا يفهمه العرب^(١١)، و"اللتغة": أن يُعَدَّل بحرف إلى حرف^(١٢)، و"الغنة": أن يشوب صوت بالخيشوم، والغنة أشد منها^(١٣)، و"الترخيم": حذف الكلام^(١٤) ومثول: "وهو العبي اللذم"^(١٥)، و"العي": وبالق رجل كان يعرف بالعي فيقال: أعيا من بالق، ويقال: بلغ من عيه أنه اشترى ظيباً، فسئل بكم اشتريت الظبي؟ فأخرج أصابع يديه ولسانه، أي بأحد عشر درهماً، فأقلت الظبي وذهب^(١٦)، و"الأنوك": للعي في كلامه، واحتج بقول الشاعر:

وَكُنْ أُنُوكَ التُّوَكَّى إِذَا مَا لَقَيْتَهُمْ وَكُنْ عَاقِلًا إِذَا مَا لَقَيْتَ ذَوِي الْعَقْلِ^(١٧)

و"الخصير": وقولهم قد خصير الرجل معناه: قد احتبس عليه الكلام وضاق مخزؤه. وأصل الخصير عندهم الحبس والضيق...^(١٨)، و"الضامز": الساكت الذي لا يتكلم. وإذا لم يجتر البعير قيل: قد ضَمَزَ ضُمُوزًا، وناقة

(١) الإبانة، للمجلد ١، ص ٣٧-٣٨

(٢) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ٣٨

(٣) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ٣٨

(٤) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ٣٨

(٥) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ٣٨

(٦) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ٣٨

(٧) المصدر السابق

(٨) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ٣٩

(٩) لعوتبي، الإبانة، للمجلد ١، ص ٣٩

(١٠) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ٤١

(١١) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ١٠٧-١٠٨

(١٢) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ٤١

(١٣) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ٤١

(١٤) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ٤١

(١٥) المصدر السابق، للمجلد ١، ص ٦٧

(١٦) المصدر السابق، للمجلد ٢، ص ٢٩٩

(١٧) المصدر السابق، للمجلد ٢، ص ١٧١

(١٨) المصدر السابق، للمجلد ٢، ص ٢٢٤

صَمَوْتَ وضامز لا يُسَمَّعُ لها رُغَاءٌ^(١)، و"الزُّمَيْت": الساكن، والمترَمَّت الساكن، وفيه زماعة^(٢)، و"الصَّمَتَت": طولُ السكوت. قال داود عليه السلام: الصمت حَكَمٌ وقليلُ فاعله^(٣)، و"الْفَنَم": العَي عن الحُجَّة وللحكمة^(٤)، و"الفَنَد": يقع في مواضع كثيرة، منه الكُذْب، ومنه العَجَز، والسَّهْل، والجهل، واللَّوْم، والخَرَف، وتغيَّرَ العقل. والفَنَد الرجل: إذا تكلَّم بالفَنَد من الكلام، أو بلغ وقت الهرم... ونقول: شيخٌ مُفَنَدٌ... وأصلُ الفَنَد: الخَرَف، ثم قيل: أَفَنَدَ الرجلُ: إذا جَهِل وأصله ذلك^(٥)، و"البَيْقَات": "يقال للكثير الكلام بيقان... وهي من حكاية صوت كما يتبقي الكوز في الماء"^(٦)، و"التَّلْعَم": معناه توقَّف وتلثَّ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أَحَدٌ عَرَضْتُ عليه الإسلام إلا كانت له عنده كِبَرَةٌ غيرُ أبي بكر، فإنه لم يتلَعَم" للكِبَرَة الوقفة^(٧)، و"الجَنَمَة": "أن لا يَتَيَّنَ كلامك من غير عي، قال:

لعمرى لقد طالَ ما جَنَمُوا فما أخروه ولا قَسَمُوا^(٨)،

و"الوشوشة": كلام في اختلاط، وكذلك التشويش^(٩)، ويوردها في موضع آخر من كتابه: "الوشوشة" كلام في اختلاط، وكذلك التشويش...^(١٠) و"اللَّجَّة": "أن يتكلَّم الإنسان بكلام غير مُبِين، وهو لَجَجَ لسانه، وكلام مُلَجَج"^(١١)، و"التَّجَّت الأصواتُ إذا اختلطت وارتفعت. واللَّجَّة: أن يتكلَّم بكلام غير بَيِّن، وهو يُلَجِّج بلسانه"^(١٢) و"الرَّمَز": على وجوه: يكون باللسان، وهو الصوت الخفي. ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم... ومثله الهمس^(١٣)، و"اللُّؤب": "ثبَّة الإعياء، لَغَبٌ يُلَغِبُ لُغُوباً أي عَي، ومنه قوله تعالى: (وَمَا يَسْتَأْذِنُ فِيهَا لُغُوبٌ)^(١٤) وإذا كان الكلام مختلفاً لا معنى له قيل: كلام لُغَب، مأخوذ من اللُّغَاب وهو ريش السهم إذا لم يَتَكَلَّم، فإذا اعتدل فهو لُؤَامٌ...^(١٥) و"اللُّؤ": "الكلام المختلف في معنى واحد، تقول لغا يُلغو لغواً، أي اختلط كلامه"^(١٦)، و"الهَذَاء": كثير الهذيان، وهو كلام غير معقول مثل كلام المَبْزَم والمعتوه ونحوه...^(١٧)

(١) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٣٨٨.

(٢) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٣٨٨.

(٣) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٣٥٩.

(٤) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٦٥٨.

(٥) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٦٨١.

(٦) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٢٧١.

(٧) المصدر السابق، المجلد ٢، ص ٣٢٢.

(٨) العوتبي، المصدر نفسه، المجلد ٢، ص ٣٦٠.

(٩) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ٢٨٩.

(١٠) الإبانة، المجلد ٤، ص ٥٠٦.

(١١) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ١٦٦.

(١٢) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٢٣٦.

(١٣) المصدر السابق، المجلد ٣، ص ١٦٦.

(١٤) القرآن الكريم، سورة فاطر، من الآية: ٣٥، وقوله تعالى: "وما يستأمن من لغوب"، سورة ق، من الآية ٢٨.

(١٥) الإبانة، المجلد ٤، ص ٢٢٢.

(١٦) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٢٢٢.

(١٧) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٥٧٩.

خامساً: أضواء لسانية على مصطلحات اضطرابات الكلام في كتاب الإبانة.

ونستطيع، باستعراض المصطلحات الخاصة بعيوب الكلام، ملاحظة أن العوتبي قد أورد جملة من المصطلحات الدالة على ما يعترى الكلام من معوقات ناجمة عن أثر اللغة الأجنبية في نطق العربية، كالمُعْطَمَة، واللُّكْنَة، والعُجْمَة. فضلاً على استخدامه مصطلح الرُّطَانَة الذي يُعزُّر عن عائق تواصلٍ؛ بسبب جهل المستقبل لغة المرسل ومعنى كلامه. وتُعرف مجموعة هذه المصطلحات في الدراسات الحديثة باضطرابات تحدث اللغة^(١).

ويمكن أن نلاحظ، كذلك، إيراد مصطلحات تدلّ على عيوب الكلام الصوتية والنطقية، كالخَبْسَة والمُعْطَلَة والعِيّ والحصر والرمز والهمس والقَمَد واللُّغُوب، وهي حالات يتمتع الصوت فيها لأسباب عديدة، فالحبسة ارتبطت بمثاله السيلقي بطول الصمت الذي أدّى إلى امتناع الكلام، مما يشير إلى سبب توقّف الصوت نتيجة حادثة أو مشكلة، والمُعْطَلَة ارتبطت بوصف امتناع العضو الناطق عند إرادة الكلام، مما يشير إلى امتناع الصوت لعيب عضوي، والعِيّ يدلّ على العجز عن الكلام – أي التعبير بالكلام عمّا في النفس – مع القدرة على استخدام الإشارة للتعبير عن المعنى المراد، والحصر يصف حالة احتباس الكلام بدلالة عامة، فالحصر، لغةً، فيه ضيق ولكنه أقل استحكاماً من الحبس^(٢)، والرمز والهمس لا يظهر فيهما الصوت بصورة طبيعية؛ لمانع إراديّ أو لعلّة نفسية، تدفع الإنسان إلى التواصل هماً أو رمزاً، والقَمَد يرتبط العجز فيه عن الكلام تارة وعن الخَجّة تارة أخرى، وكأنه يشير إلى الاحتباس المؤقت الناجم عن اختلال ذهني، واللُّغُوب عجز عن الإقحام بسبب التَّعَب، فلا يؤدي الصوت وظيفته التواصلية.

ويظهر حرص العوتبي على الإبانة عمّا تطوّر عليه المصطلحات من فروق دقيقة في مجال العيوب النطقية – فيما أورد من مصطلحات كالمُتَوَلِّز، الذي تجتمع فيه صفة العجز عن التعبير عمّا في نفسه، وضعف القدرة العقلية لديه في إنتاج الكلام المترابط المبين الدلالة، فلمح لديه ربطاً – تسوّغه للدراسات اللسانية المعاصرة – بين الكلام والعلويّات الذهنية. ويتعمّق هذا الملمح في إيراد العوتبي مصطلح "الفنّد" ليشير إلى ما يعترى للمرّة من عجز عن الكلام في بلوغه وقت الهرم، ويربط الدلالة اللغوية "وأصل الفنّد: الخرف"، بالدلالة المصطلحية: "ويقع في مواضع كثيرة منه اللكنب، ومنه العجز، والسّفَه... وتغيّر العقل، وأفنّد الرجل: إذا تكلم بالفنّد من الكلام، أو بلغ وقت الهرم".

كما يميّز العوتبي بين اضطرابات الصوت الفردية الناجمة عن علّة عيّيّ والمعزّز لدى الفرد – كالمُعْطَلَة والمُعْطَمَة والحبسة – وما يعوق التواصل من عوامل أخرى كاضطراب الصوت المُنتَج وعدم إيلاّغه المراد إلى المستقبل، نحو للجنّة، والوشوشة.

إضافة إلى ذلك، نستطيع أن نميّز – فيما ورد من مصطلحات عيوب الكلام الصوتية – بين ما يدلّ على امتناع الصوت لعلّة مرضيّة وما يكون لغرض ذلك، فأورد العوتبي مصطلحات ودلالات يتمتع فيها الإنسان عن التواصل بالصوت، كالضامز، والساكت، والزمّيت، والصامت. وتشترك هذه المصطلحات في دلالتها على القدرة الكامنة في

(١) انظر لمزيد بيان: محاسين، صديب، 'عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي'، ص ١١٢-١١٣.

(٢) يمكن أن يستدل على هذا الاختلاف الدلالي بين التفتين بما أورده أبو هلال العسكري في كتابه الفروق في اللغة، حيث ذكر: " (الفرق) بين الحصر والحبس أن الحصر هو الحبس مع التفتين يقال حصرهم في البلد لأنه إذا فعل ذلك فقد منعهم عن الانتفاع في العسي والتصرف في الأمور... قال أهل اللغة ويجوز أن يقال إن الحبس يكون لمن تمكنت منه والحصر لمن لم تتمكن منه. وذلك أنك إذا حاصرت أهل بلد في البلد فيك لم تتمكن منهم وإنما تتوصل بالحصر إلى التمكن منهم والحصر في هذا سبب التمكن والحبس يكون بعد التمكن: فطر: للعسكري، أبو هلال (ت. ٣٩٥هـ) الفروق في اللغة، ط٢، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٩٧٧، ص ١٠٧-١٠٨.

المرء على الكلام، وميل لعدم الحديث، مع تقارب دقيق في مدلولاتها، فالصمت أطولُ زمنًا من السكوت، وقد يكون إرادياً لحكمة وغاية، والضموز صفةٌ لحالة السكوت المخالفة لظاهرة الإنسان شأن الفاقة إذا امتنعت عن الاجترار، والزميت وصفٌ لحالة السكون وهي تقيض الحركة.

ومن فُرط عنابة العويبي في التمييز الدقيق بين مفاهيم الحقل الواحد نجده يحرص على إيراد الفوارق بين العيوب اللطيفة والصوتية، فيميز بين "العنة" و"الخنة"، فيجعل الأخيرة أشد من الأولى مما يشوب الصوت في الخشوم. وهو يوافق في هذا ما ظهر في "المخصص" إذ أورد: "والأغن الذي يجري كلامه في لهاته وهو الساقط الخياشيم وهي الفنة، والأغن المسدود الخياشيم وقيل هو الذي تخرج كلمته من خياشيمه...والخنن أشد من الغنن^(١)."

وتحمل بقية المصطلحات مفاهيم دقيقة في مجال عيوب الطلاقة، وأهم هذه المصطلحات: "الرتة"، و"التممة"، و"التكأة"، و"الفأدة"، و"اللف"، و"اللغة"، و"الترخيم"، و"التلثم"، و"الجلجة". وتؤكد هذه المصطلحات وغيرها من مصطلحات الطلاقة اللغوية: أن قدرة المرء على إنتاج الأصوات ورصفها ضمن قواعد تشكيل الكلمات والجمل ليست بالكافية وحدها لإنتاج كلام طبيعي، بل لابد من مراعاة مكونات أخرى وفي مقدمتها الطلاقة.

اضطرابات الطلاقة اللغوية في كتاب الإبانة.

أولاً: الطلاقة اللغوية: المصطلح والمفهوم والمجال.

يُدرج مكتب تنسيق التعريب-التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- في معجم المصطلحات الموحدة مقابليين عربيين للمصطلح الإنجليزي (Fluency) وهما فصاحة، وطلاقة اللسان^(٢)، ويورد رمزي البعلبكي في "معجم المصطلحات اللغوية" مصطلح الطلاقة مقابلاً للمصطلح الإنجليزي المذكور.^(٣) ومن اللافت، في هذا السياق، ندرة عنابة المعجمات المتخصصة^(٤) في السانيات بإيراد المصطلح الإنجليزي فمقابله في العربية، على الرغم من أهمية هذا المصطلح في الفروع اللسانية الحديثة، كاللسانيات النفسية (Psycholinguistics) واللسانيات العيادية (Clinical Linguistics).

وتُعرف الطلاقة (Fluency) بأنها ذلك الجانب من إنتاج الكلام، الذي يشير إلى اتصال العناصر اللغوية المرتبطة تركيبياً ارتباطاً وثيقاً (Continuity)، وسلاستها (smoothness)، ومعدل سرعتها (Rate)، والجهد (Effort) المبذول في نطق الوحدات اللغوية؛ الصوتية، واللفظية، والنحوية.^(٥) كما تُعرف على أنها قدرة المتكلم على استخدام اللغة استخداماً لا يُحَوِّجُه إلى جهد في التفكير في الصيغ الصحيحة، وبالسرية اللازمة للاتصال اللغوي العادي مع الآخرين^(٦).

(١) فنار: ابن سبويه، أبو الحسن علي بن إسحاق الأندلسي (٤٥٧هـ/١٠٦٤م)، المخصص، دار الفكر، بيروت، لبنان، السفر الثاني، ص ١٢٠.

(٢) فنار الموقع الإلكتروني لمكتب تنسيق التعريب:

<http://www.arabization.org.ma/Dictionnaire.asp>

(٣) فنار:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, English-Arabic, Dar El-Ilm Lilmaalayin, Beirut, Lebanon, 1990, p.195.

(٤) تأتي هذه الملاحظة عقب تنبُّج المصطلح في عدد من المعجمات المتخصصة، كمعجم مصطلحات علم اللغة الحديث، لمحمد حسن بكاء، وآخرين، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لمجدي وهبة وزميله، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، وقاموس المصطلحات اللغوية والأدبية لإميل مغوب وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، وغيرها.

(٥) انظر تعريف الطلاقة الذي قدمته الجمعية الأمريكية للنطق واللغة والسمع (ASHA)، سنة عام ١٩٩٩.

(٦) انظر:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, p. 195.

وتحتل الطلاقة اللغوية بعناية المشتغلين في حقل علم أمراض الكلام واللغة (Speech-Language Pathology)، الذي يدرس العيوب والاعتلالات الكلامية على اختلاف مستوياتها من البساطة أو الخطورة لمعرفة أسبابها ثم تحديد طرق تقويمها^(١). فيعرفها مقومو الكلام (Pathologists) بأنها خلو الكلام من أي عدول محسوس من سلاسته وجريانه المعمودين. وتُعرف لدى مقومي الكلام — على نحو طبي (Clinical) خاص — بصورة مقابلة للعثمة (Stuttering)، لتصف بذلك الكلام المتتابع المتكفّل الخالي من الانقطاع والتوقف^(٢).

كما تحتل الطلاقة اللغوية بعناية المشتغلين في حقل اضطرابات التواصل العصبية (Neurogenic Communication Disorders)^(٣)، الذي ينضوي في فرع اللسانيات العصبية (Neurolinguistics)، التي تعنى بدراسة وظائف الدماغ اللغوية في عمليات التحكم بالسمع والكلام، واكتساب اللغة، والاعتلالات الكلامية المؤثرة في التواصل اللغوي، وفقدان اللغة^(٤).

كما يُستخدم مصطلح الطلاقة اللغوية في مجال تعليم اللغات، ويشير إلى قدرة المتكلم العامة وكفايته في التواصل اللغوي باللغة الجديدة. وفي هذا الاستعمال، تكون الطلاقة اللغوية مكافئة لمهارة إتقان اللغة المنطوقة. إضافة إلى هذا الاستعمال العام، تشير الطلاقة اللغوية على نحو مخصوص إلى سرعة إنتاج اللغة وتتابع عناصرها واستمراريتها وإيقاعها والجهد المبذول في نطقها. وقد لاحظ ونجيت (Wingate) أن الطلاقة اللغوية تشير نمطياً إلى اللغة المنطوقة، كما قد تشير إلى لغة الإشارة^(٥).

ومن الجدير بالذكر أن مصطلح الطلاقة اللغوية يحمل أكثر من مفهوم؛ لاستعماله في هذه المجالات العلمية المتباينة التي تشهد تطوراً علمياً ملحوظاً، مما قد يزيد إشكالية الاشتراك المصطلحي تعقيداً، ويجعل دأول المصطلح بين الدارسين محفوفاً بصعوبات التواصل العلمي، سواء أكان ذلك بين الدارسين الغربيين أم كان بين الدارسين العرب المعاصرين^(٦).

ثانياً: الطلاقة اللغوية في كتاب الإبانة في اللغة.

وعلى ضوء ما سبق، نلاحظ أن العويبي قد أورد في كتاب الإبانة نموذجاً دالاً على الطلاقة، تمثل في خصائص فصاحة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من أنه كان "يتبع بعض كلامه بعضاً، بين كلامه توقّف،

(١) انظر:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, p. 467.

(٢) انظر:

American Speech-Language-Hearing Association Special Interest Division 4: Fluency and Fluency Disorders. (1999, March). Terminology Pertaining to Fluency and Fluency Disorders: Guidelines, Asha, 41(Suppl.19), P.30

(٣) انظر:

Ibid., P.30

(٤) انظر:

Baalbaki, R., Ibid., p. 328

(٥) انظر:

Terminology Pertaining to Fluency and Fluency Disorders, Ibid., P.30

(٦) انظر:

Terminology Pertaining to Fluency and Fluency Disorders, Ibid., P.30

يفهمه سامعاً وبعيه^(١)، وتتجلى في هذا النموذج جوانب بارزة من مفهوم الطلاقة، كسلاسة الكلام، واعتدال سرعة ذريحه وجريانه ترفقاً واتصالاً، ونزايط عناصره اللغوية. والعوتبي- فيما لاحظته- يجيد تعريف مصطلحاته بما يسوقه من أمثلة، تبدي أبعاده خصائص المفهوم، وتُميِّزه.

ثالثاً: مصطلحات حفل الطلاقة: (نظرة مقارنة).

والعوتبي لم يُعن، كغيره من اللغويين العرب في القرنين الرابع والخامس الهجريين، بإيراد المصطلحات الدالة على الموصوف بالفصاحة والطلاقة. فنجد أبا منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م) يقدم في فصل "في حدة اللسان والفصاحة" مجموعة مصطلحات واصفة لحفل الطلاقة اللغوية، حيث أورد: "إذا كان الرجل حاذئاً للسان قادراً على الكلام فهو ذرب اللسان، وفترق اللسان، فإذا كان جيد اللسان فهو لسن، فإذا كان يضع لسانه حيث أراد، فهو ذليق، فإذا كان فصيحاً بين اللهجة فهو خذلي" (عن أبي زيد)، فإذا كان مع حدة لسانه بليغاً فهو مبلق، فإذا كان لا تُعترض لسانه عُذّة ولا تحيف بيانه عُجمة، فهو مصنّع...^(٢).

كما يسوق ابن سيده الأندلسي (ت. ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) في باب الفصاحة من كتابه "المُخصّص" مصطلحات مماثلة، وأخرى تفضل ما ورد لدى الثعالبي، منها: "رجل كِلْماني، وبكلام، ويقواله، وقوال، ونبار، ومبلاق، ورجل طلق اللسان (أي فصيح)، وفلان طلق ذلق وطلق ذليق، رجل متتابع الكلام (أي محكمه)، ما أسقط بكلمة (أي ما طرحها)، وإذا أسرع الكلام ولم يتتبع قيل خُزِمَ وقد خُزِمَ السيف، قطع قطعاً سريعاً، وإذا أسرع الكلام وتابع بعضه في إثر بعض قيل إنه لكتكت^(٣).

ونستطيع، بالنظر فيما أورده الثعالبي وابن سيده من مصطلحات، ملاحظة ارتباطها الوثيق بمفهوم الطلاقة؛ لما تضمنته هذه المصطلحات من إشارات إلى السرعة والتتابع والترابط، والخذف في نطق المتكلم، وظهور الصوت ووضوحه؛ لتشكل في مجملها نظرة شمولية للطلاقة اللغوية. كما لنحظ ورود لفظ مصطلح الطلاقة - فيما أورده ابن سيده - باشتقاقاته المختلفة للدلالة على تتابع الكلام وتمايه.

رابعاً: الطلاقة اللغوية بين الدلالة اللغوية والدلالة المصطلحية.

تبين المعجمات العربية القديمة عن عدد من المعاني اللغوية التي تحملها مشتقات مادة "طلق" في العربية الفصحى، ومنها: الإرسال والتحرر، والسرعة، والبشر، والذلاقة والاستمرار، والعباءة السخى. وترد هذه المعاني، تأسيساً، في كتاب العين للخليل (ت. ١٧٥هـ / ٧٩١م)، حيث جاء: "...والطالقُ من الإبل ناقة ترسل في الحي ترعى من جانبهم أي أرواها حيث شاعت، لا تُعقل إذا راحت ولا تتخى في المسرح، وأطلقت الناقة وطلقت هي أي حلت عقالها فأرسلتها...الطليق: الأسير يُطلق عنه إسهاره. وإذا خلى الظبي عن قوائمه فمضى لا يلوي على شيء قيل: تطلق...وإذا خلى الرجل عن الناقة على ما وصفت لك قيل: طلقها...والانطلاق: سرعة الذهاب في المحنة. وفلان طلق الوجه وطلبتوه...طلق طلاقة، ويوم طلق، وليلة طلقة: نقيض النحس والنحسة...واسطلق البطن وأطلقه الدواء

(١) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٢٦

(٢) انظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت. ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م)، كتاب لغة وأسرار العربية، شرح: ياسين الأيوبي، ط، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م، ص ١٥١.

(٣) انظر: ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٢-١١٨

فأسهل. ورجل طَلِقَ اللسان وطلَقَ اللسان: ذو طلاقة وذلاقة، ولسانه طَلَقَ ذلق أي مستمر. ورجل طَلَقَ اليمين: سمح بالعطاء...وطلَقَت الخيل إذا مضت طَلَقاً لم تحبس إلى الغاية...^(١)

وبعد ما ورد في كتاب العين من الأهمية بمكان؛ لما يحمله من تسجيل تاريخي لبدائيات ظهور لفظ مصطلح الطلاقة، وظهوره مقترناً باللسان دالاً على الذلاقة والاستمرار، ولاشتماله على المعاني الأساسية لمشتقات "طلق". ولأحظت أن المعجمات القديمة المتأخرة لا تغادر هذه المعاني الواردة في كتاب العين إلا نزرأ، ولا تكاد تنف عنها، مع اتساع مادة "طلق" وتضخمها في هذه المعجمات المتأخرة.

فورد في جهمرة اللغة لابن دريد (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م): "...وَرَجُلٌ طَلَقَ الْوَجْهَ وَطَلِقَ الْوَجْهَ إِذَا كَانَ يُهْوِلُ لَا ضَحَاكًا، وَلَيْلَةً طَلَقَهُ وَبِوَجْهِ طَلَقَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ...وَنَاقَةٌ طَالِقٌ لَا خَطَامَ عَلَيْهَا، وَرَجُلٌ طَلَقَ ذَنْقٌ وَطَلَقَ ذَنْقٌ إِذَا كَانَ طَلَقَ الْوَجْهَ ذَنْقَ الْلسَانِ...وَالطَّلِيقُ الْأَسِيرُ إِذَا لُطِقَ وَالْجَمْعُ طَلَقًا...وَمَا لَبِثَ الطَّلَاقُ فِي وَجْهِ فَلَانٍ أَيْ الْبِشَاشَةِ...وَيَقَالُ لِلرَّجُلِ أَطْلَقَ يَدَيْكَ بِالْإِنْفَاقِ وَالْإِطْلَاقِ ضِدَّ الْإِمْسَاكِ، وَيُقَالُ أَطْلَقَ رَجُلِيكَ بِالْمَشْيِ أَيْ أَسْرَعَ...^(٢).

كما ورد في مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م): "(طلق) الطاء واللام والقاف أصلٌ صحيحٌ مطَّردٌ واحد، وهو يدلُّ على التخلية والإرسال. يقال الطلَّقَ الرَّجُلَ ينطلق انطلاقاً، ثُمَّ تَرَجَعَ الْفُرُوعُ إِلَيْهِ، نَقُولُ أَطْلَقْتُهُ إِطْلَاقاً، وَالطَّلَقُ: الشَّيْءُ الْحَالِلُ، كَأَنَّهُ قَدْ خَلَّى عَنْهُ فَلَمْ يُحْظَرْ...وَأَطْلَقْتُ الذَّاقَةَ مِنْ عَقَائِهَا وَطَلَقْتُهَا فَطَلَقَتْ. وَرَجُلٌ طَلَقَ الْوَجْهَ وَطَلِيقُهُ، كَأَنَّهُ مَنْطَلِقٌ، وَهُوَ ضِدُّ الْبَاسِرِ لِأَنَّ الْبَاسِرَ الَّذِي لَا يَكَادُ يَنْهَشُ وَلَا يَنْفَسُ بِبِشَاشَةٍ. رَجُلٌ طَلَقَ الْلسَانَ وَطَلِيقُهُ. وَهَذَا لِسَانٌ طَلَقَ ذَنْقٌ...^(٣). وورد في الصحاح للجوهري (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م): "رَجُلٌ طَلَقَ الْوَجْهَ وَطَلِيقُ الْوَجْهِ، وَقَدْ طَلَقَ بِالضَّمِّ طَلَاقَةً. وَرَجُلٌ طَلَقَ الْيَدَيْنِ، أَيْ سَمَحَ...وَرَجُلٌ طَلَقَ الْلسَانَ وَطَلِيقُ الْلسَانِ. وَلِسَانٌ طَلَقَ ذَنْقٌ وَطَلِيقُ ذَنْقٍ، وَطَلَقَ ذَنْقٌ...وَأَطْلَقْتُ الْأَسِيرَ، أَيْ خَلَيْتُهُ...وَالْإِنْطِلَاقُ: الْذَهَابُ...وَنَاقَةٌ طَالِقٌ...أَيْ مُرْسَلَةٌ تَرعى حَيْثُ شَاءَتْ...^(٤).

ومما يستحق التنويه في هذه السوايق أن ما ورد من معاني "طلق" في الجهمرة والمقاييس والصحاح يعكس تطور المصطلح لدى معجمي القرن الرابع الهجري، ويؤكد ثبات هذا اللفظ واستمراره. وأن ما ورد لدى ابن فارس يتصف بالأهمية، إذ تأمل ابن فارس في مادة "طلق" وردَّ الفروع للمختلفة من مشتقات المادة إلى أصل واحد هو التخلية والإرسال، فكان هذا الأصل الدلالي (المعجمي - الصرفي) مدلول الدلالات المعجمية الأخرى.

(١) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ / ٧٩١م) كتاب العين، تحقيق: مهدي المعزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد - العراق، ١٩٨٢م، (مادة: قطل).

(٢) انظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأردني البصري (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م) جهمرة اللغة، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٤٥هـ، (مادة: قطل).

(٣) انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م) مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، (مادة: قطل).

(٤) انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، (مادة: قطل).

ولا يقف المُتَنَبِّعُ في المعجمات اللاحقة على معانٍ جديدة، وإنما يلحظ أنها تؤكد المعاني السابقة في صياغات لفظية وسياقية مُتَّجِدَة. فيذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) في لسان العرب "...الطَّلِقُ من الإِبِل: التي طُلِّقَتْ في المرعى... وكذلك الخَلِيَّة. وطَلَّقَ النساءَ لمعينين: أحدهما حلَّ عَقْدَ النكاح، والآخر بمعنى التخلية والإرسال. ويقال للإنسان إذا عتق طَلِيقٌ أي صار حراً...والطَّلَاق: الأسراء العتقاء...وطُلِّقَتْ يَدُه ولسانه طُلُوقَةً وطُلُوقاً...ويكون الإِطْلَاقُ بمعنى الترك والإرسال..."^(١).

ولعل ما يستحق الإشارة، هنا، ما أورده الزَّيْبُدي (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) في تاج العروس، حين رَبَّطَ بين الطَّلَاقِ والفصاحة، أي استبدلَ الفصاحة بالذَّلَاقَةِ، وحملَ المعنى في هذه الحالة على المجاز، فيقول: "ورجل منطلق اللسان، ومنطلقه: فصيح، وهو مجاز"^(٢)، ويقول: "قال الصاغاني: ورجل طَلَّقَ اللسان، بالفتح والكسر، وظيفه كأمير أي: فصيح، وهو مجاز، وكذلك طَلَّقَ، كصُرَّد. ولسان طَلَّقَ ذَلَقٌ، فيه أربع لغات ذكرهن الجوهري: بالفتح، وطَلَّقَ ذَلِيقٌ كأمير، وطلَّقَ ذَلَقٌ، بضمتين، طَلَّقَ ذَلَقٌ كصُرَّدَ واكثره ابن الأعرابي. وقال الكسائي: يقال ذلك. وقال أبو حاتم: وسئل الأصمعي في طَلَّقَ أو طَلَّقَ، فقال: لا أدري لسان طَلَّقَ أو طَلَّقَ. وزاد الصاغاني: لسان طَلَّقَ ذَلَقٌ، مثل كيف أي: ذو انطلاق وجدة..."^(٣).

وعلى ضوء ما سبق، يبدو التقارب والتضافر بين الداليتين اللغوية والمصطلحية جلياً، وإن لم يكن مثل هذا التقارب الدلالي شرطاً من شروط التأسيس المصطلحي، فإن وقوعه يقوِّي ثبات المصطلح ويؤمِّدُ بمقومات الشروع والتداول. كما أن ورود هذا المصطلح في الموروث اللغوي المعجمي العربي واقتراحه، في كل ما وقفت عليه من مصادر، بوصف الكلام - يكشف عن جذور المصطلح العميقة في العربية، ويدل على رسوخه وصلاحيته للتفرُّد مصطلحاً مقابلاً للمصطلح اللساني (Fluency). وإن اقترانه بالذَّلَاقَةِ أو الفصاحة هو من قبيل التعريف بالمرادف فحسب.

خامساً: اضطرابات الطَّلَاقِ اللُّغَوِيَّة (المصطلح والمفهوم).

يواجه المرء ابتداءً صعوبة في إيجاد مقابل دقيق للمصطلح الإنجليزي (Fluency Disorders)، فلم تبدِ جُلُ المعجمات المتخصصة في المصطلحات اللسانية اهتماماً بترجمة المصطلح وإيجاد مقابل عربي له، غير أن قائمة الجزء الثاني من "معجم مصطلحات علم النفس اللغوي واضطرابات النطق والكلام" قد اشتملت على ترجمة للمصطلح -تعمد عليها هذه الدراسة- هي "اضطرابات الطَّلَاقِ"^(٤).

ولا غرابة في أن تصرف جُلُ المعجمات الاصطلاحية النظر عن ترجمة المصطلح (Fluency Disorders)، فيُذه المعجمات قد وقعت في مشكلة ترجمة المصطلح العام (Speech Disorders)، الذي يحتوي في مجاله

(١) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ١٩٥٥م، (مادة: طلق).

(٢) انظر: الزبيدي، محمد بن محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، (د.ن)، (د.م)، ١٩٨٥م، (مادة: طلق).

(٣) انظر: الزبيدي، تاج العروس، (مادة: طلق).

(٤) انظر: صالح، عامر جبار، "معجم مصطلحات علم النفس اللغوي واضطرابات النطق والكلام"، (إنجليزي-عربي)، الجزء الثاني، (Fluency Disorders)، المنشورة على الموقع الإلكتروني الأتي: www.arabization.org.ma.

المصطلح الخاص (Fluency Disorders)، فترجم مصطلح (Speech Disorders) بعيوب الكلام أو أمراض الكلام^(١)، وترجم 'باعتلالات كلامية أو اضطرابات كلامية'^(٢)، وباضطرابات الكلام^(٣)، وتبرز مشكلة أخرى في ترجمة المصطلح حين نجد من يترجم المصطلح (Speech Defects) بعيوب الكلام أو أمراض الكلام^(٤)، و'بالعاهات الكلامية'^(٥)، وترجم 'بالعيب الكلامي وبالعاهة الكلامية'^(٦)، و'بعيوب الكلام'^(٧).

ومن المشروع، هذا، التساؤل: هل يعدّ المصطلحان: (Speech Disorders)، و(Speech Defects) مترادفين؟ يفرق رمزي البعلبكي بين المصطلحين بتخصيص الأول بالدلالة على عدم قدرة المتكلم على التواصل اللغوي توألاً سوياً بسبب علة نفسية أو عصبية أو فيزيولوجية، وبتخصيص الثاني للدلالة على مبلغ هذا العيب حداً خطيراً يؤثر تأثيراً بالغاً في قدرة المتكلم على التواصل بسبب اضطراب أساسي في نظام تحكمه بالكلام، يطلق عليه الاعتلال الكلامي أو الاضطراب الكلامي^(٨).

وعليه، فالاضطراب (Disorder) يختلف في المفهوم عن العيب (Defect)، لذا فإن ما ورد لدى مكتب تسيق التعريب من ترجمة المصطلحين بلفظ واحد يتطلب إعادة النظر لمواكبة التطور المفهومي في حقل اللسانيات العيادية، التي تعنى بدراسة عيوب الكلام ومشكلات الفهم وعلاجها^(٩).

وتتخذ هذه الدراسة مصطلح اضطرابات اللّغة مقابلاً للمصطلح الإنجليزي (Fluency Disorders)، وتتبنى الدراسة الحالية هذه الترجمة، تبعاً للقائمة المشار إليها آنفاً، وتجنباً للسقوط في مشكلتي الترادف المصطلحي، والاشتراك المصطلحي، وتقديماً للوقوع في مأزق المحذور اللفظي للمصطلح، حيث يتضمن لفظ المصطلح إيحاء يؤثر سلباً فيمن يتصفون بهذه الاضطرابات، وفي علاقتهم بمقومي الكلام، أو في الصياغة العملية للمصطلح بتضمنه معنى غير مرغوب فيه أو مقصود في وصف الحالة، ومثل ذلك: استخدام مصطلح 'العاهة'، أو 'الآفة'، أو 'الإعاقعة'، وغيرها من الألفاظ المحتملة والدارجة في هذا الموضوع، وفي العموم فإن التلطف في صياغة المصطلحات

(١) انظر الموقع الإلكتروني لمكتب تسيق التعريب:

<http://www.arabization.org.ma/Dictionnaire.asp?>

(٢) انظر:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, p. 466

(٣) انظر: عامر جبار صالح، 'معجم مصطلحات علم النفس اللغوي واضطرابات النطق والكلام'، (إنجليزي-عربي)، الجزء الأول، (Disorders/speech)، المنشورة على الموقع الإلكتروني الآتي: www.arabization.org.ma.

(٤) انظر الموقع الإلكتروني لمكتب تسيق التعريب: <http://www.arabization.org.ma/Dictionnaire.asp?>

(٥) انظر: باكلاً، محمد حسن، وآخرين، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ص ٨٥.

(٦) انظر:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, p. 466

(٧) انظر: صالح، عامر جبار، 'معجم مصطلحات علم النفس اللغوي واضطرابات النطق والكلام'، (إنجليزي-عربي)، الجزء الأول، (Defects/speech)، المنشورة على الموقع الإلكتروني الآتي: www.arabization.org.ma.

(٨) انظر:

Baalbaki, R., Ibid., p. 466

(٩) انظر:

Ibid., p.93

في الحقل الطبي يقتضي إعادة النظر في ألفاظ المصطلحات تجنباً للاثار السلبية التي تطل المغيين في عملية التواصل: باحثين، ومرضى، وأطباء، ومقرمين.

تعرف اضطرابات اللطاقة (Fluency Disorders) على أنها انقطاع بعري جريان الكلام وسلاسته، وتحد باعتماد سرعة الكلام للطمية، وإيقاعه، وتكرار الأصوات اللغوية والمقاطع والكلمات والجملة فيه، وينتج الكلام في توتر وجه مؤرطين، وتكلف إضافي^(١). كما تعرف على أنها إضافة أصوات أو مقاطع أو كلمات إلى الكلام النمطي، أو تكرار لهذه الأصوات والمقاطع والكلمات، أو مطل للأصوات، أو تجنّب نطق بعض الكلمات، أو احتباس الكلام، أو عدم انتظام في الهاء للالزم للنطق (شهيلاً وزفيراً)، وقد يصحب هذه الأنماط من عيوب للكلام إشارات جسدية، وبذل جهد أكبر لإنتاج الكلام. ويستثني بعض الدارسين من اضطرابات اللطاقة ما قد ينجم من اضطراب الكلام بسبب الاختلافات اللهجية والثقافية، أو ما قد ينجم عن التحدث باللغة الأجنبية^(٢).

ساساً: مصطلحات اضطرابات اللطاقة في كتاب الإبالة. (نظرة مقارنة)

يقود النظر في كتاب الإبالة إلى الوقوف على عدد من المصطلحات الدالة على بعض أنماط اضطرابات اللطاقة على النحو الذي قتمته الدراسات للسانية المعاصرة في هذا المجال، وهي مصطلحات دقيقة ومميّزة وواضحة في كثير من الأحيان.

ووقفت عقب الاستقراء للنام في كتاب الإبالة على المصطلحات الآتية: الرئة، التمتة، التتأة، اللقافة، التتشم، اللججة. وهي مصطلحات مشهورة ومتداولة في الموروث اللغوي العربي، سواء أكان ذلك في عهد العوني أم كان بعده. كما أن هذه المصطلحات تشكل جزءاً من المصطلحات الدالة على اضطرابات اللطاقة في الموروث العربي، فمة مصطلحات لم ترد في الإبالة لكنها مصطلحات عربية في هذا الحقل، شأن: التتعة، والتتعة، والهزعة والبجة، وغيرها^(٣). ويضيق المقام عن تناولها وتفصيل القول فيها. وستكتفي هذه الدراسة بتناول مصطلحات اضطرابات اللطاقة في كتاب الإبالة لفظاً ومفهوماً، ومقارنتها بما جاء في بعض المصادر اللغوية التراثية، والدراسات المعاصرة.

أولاً: "الرئة"، جاء المصطلح في الإبالة ليدل على "عجلة في الكلام، نقول: رجلٌ أرء. وقال ابن عباس: كانت فيه رئة، ولم يكن يبين الكلام. والرئة: كالريح تمنع منه أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل. والرئة تكون غريزة.. قال وهب: كان على طرف لسان موسى، عليه السلام، شامة، ولا يعرف أحد، قبله أو بعده، في طرف لسانه شامة، وهي العقدة التي ذكرها الله، عز وجل، والعقدة في اللسان عقدة التمتام^(٤)."

وينطوي تعريف العوني للرئة على خصائص مهمة تؤكد لدرجتها ضمن مصطلحات اضطرابات اللطاقة، فالرئة سرعة زائدة في الكلام، وتؤثر تأثيراً بالغاً في قدرة المتكلم على التواصل بالكلام، واستمراريته. وهي غريزة. ويجمع العوني غير اتجاه في تعريف الرئة، كالتعريف بها في سلوك المتكلم، أو التعريف بها بعلة وقوع

(١) انظر: <http://mj001.k12.sd.us/fluency.htm>

(٢) انظر: [http://aquilonis.hr/SNEP/Fluency disorders.htm](http://aquilonis.hr/SNEP/Fluency%20disorders.htm)

(٣) انظر: ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤

(٤) العوني، الإبالة، المجلد ١، ص ٢٨

الاضطراب وسببه. وقُلْ أن يعثر المرء في الموروث اللغوي على تفصيلٍ يضاهي ما أورده الإبانة في الركة من تفصيل القول تعريفاً وتوضيحاً.

ويدور هذا المصطلح في كتب اللّغة ومعالجتها بصورة لا تُغاير ما ورد في الإبانة، فذكر ابن فارس اللّغوي: 'يقولون: الركة: الحكة في الكلام. ويقال هي الحكة فيه' (١)، وأشار الثعالبي إلى أنها 'خبسة في لسان الرجل، وعجلة في لسانه' (٢). وأورد ابن سيدة: 'والأرت الذي يجعل اللام ياء... في لسانه ركة وهو يتردد في الكلمة ولأن لا تكاد كلمته تخرج من فيه' (٣). ويلحظ تقارب في مفهوم مصطلح الركة لدى هؤلاء العلماء، وإن اختلفت العبارة. غير أن ما يستحق الوقوف عليه ما ورد في تعريف ابن سيدة من إشارة إلى جعل الأرت اللام ياء، ومثل هذه الإشارة في التعريف قد نفهم على أنها تطوّر في مفهوم مصطلح الركة، أو أنها تعريف للمصطلح يركّز على أثر الركة في الأداء، فيظهر صوت اللام ياء نتيجة السرعة في النطق.

وقد دخل لفظ هذا المصطلح عدداً قليلاً من الدراسات العربية ومعجمات المصطلحات المعاصرة، فعُرف في قاموس المصطلحات اللّغوية بالآتي: 'الركة: هي عيب في نطق الكلام بسبب تعثر اللسان في اللفظ تعثراً ناتجاً عن السرعة والتعجل' (٤).

ومع أن توظيف المصطلحات التراثية في التعبير عن المفاهيم اللسانية المعاصرة محمود في مثل هذا القاموس وغيره، إلا أن المتابعة الدقيقة لما يُقدّم في الدراسات الغربية يُعدّ أمراً بالغ الأهمية، ومن الملحوظ أن فريق تصنيف هذا القاموس (ط١، ١٩٨٧م) لم يأخذوا بما استجدّ في حقل مصطلحات اضطرابات الطلاقة، فجاءوا بالركة مقابلاً للمصطلح الإنجليزي (Stammer)، ومن المعلوم، أولاً، أن هذا المصطلح الإنجليزي شائع الاستعمال في الدراسات البريطانية، ونادر الاستعمال في أمريكا الشمالية، ويُستخدم المصطلح (Stuttering)، في الغالب، بديلاً ومُرادفاً له (٥)، أما ثانياً، فنتيجة للتطوّر في حقل الدراسات اللسانية العادية، وبخاصة، فقد ظهرت مصطلحات دالة على جوانب محددة ومعينة من اضطرابات الطلاقة، ولم يعدّ مقبولاً تعميم مصطلح واحد على الحالات المختلفة. لذا، لنبقى مصطلحان رئيسان في اضطرابات الطلاقة، الأول: (Stuttering)، والثاني: (Cluttering). وعلى الرغم من تداخل المصطلحين في المفهوم وصعوبة التمييز بينهما في للدراسات التقليدية (٦)، إلا أن المصطلح الأول قد خُصّص لاحقاً للدلالة على 'الاضطراب الذي يصيب تواتر الكلام، إذ يعلم الفرد ما سيقوله، ولكنه في لحظة ما لا يكون قادراً على

(١) انظر: ابن فارس اللغوي، المقاييس، (مادة: رت).

(٢) انظر: الثعالبي، كتاب فقه اللغة وأسرار العربية، ص ١٥١

(٣) انظر: ابن سيدة، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤

(٤) انظر: يعقوب، إميل، وآخرين، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، ص ٢١٣.

(٥) انظر:

Terminology Pertaining to Fluency and Fluency Disorders, Ibid., P.33

(٦) انظر إمزيد بيان حول المفهوم التقليدي لمصطلح (Stuttering): عطية، عبد الرحيم، عيوب النطق، نشرة رقم ١٣١، وجامعة اليرموك، مركز البحث والتطوير التربوي، والخدمات الطبية الملكية، الفوات المسلحة الأردنية، ١٩٨٧م، ص ١

قوله؛ بسبب التكرار اللاإرادي أو الإطالة أو التوقف^(١)، ويشتمل هذا الاضطراب على تكرار للكلمات أو المقاطع أو الكلمات، و مطل للأصوات، وحسية كلامية منقطعة^(٢). أما المصطلح الثاني (Cluttering) فخصص للدلالة على الاضطراب الكلامي الناشئ عن اضطراب عصبي، متميز بسرعة شديدة تُفسد الإيقاع^(٣) السوي للكلمات، ويحذف الأصوات أو نطقها نطقاً غير صحيح أو في غير موضعه، وغالباً ما تزداد سرعة النطق، في هذه الحالة، مع الاستمرار في الكلام^(٤)، ويذهب باربرا بيكر (Backer B.) و باتريشا بلاكويل (Blackwell P.) إلى أن هذا النمط يجعل الكلام مضطرب السرعة، ومتعذر الإيقاع، ومختل الجانب الموسيقي في الكلام ومختلطاً، وغالباً ما يجيء غير واضح، وصفوة ما يُمَيِّز مفهوم (Cluttering) من غيره: سرعة الكلام الزائدة، ونقص تنظيم الأفكار^(٥).

وتأسيساً على ما سبق، من الجلي أننا لزاماً مفهومين متكاملين في حقل الطلاقة، لكنهما مستقلان؛ لذا يقدو المميز المصطلحي بينهما على المستوى اللفظي مطلباً رئيساً للدقة والوضوح وحسن التواصل بين الدارسين.

وأحسب أن من التوفيق والحكمة اختيار مصطلح تراثي كالرثة؛ لما فيه من ملازمة بين اللفظ والمفهوم، ورسوم في الموروث اللغوي، ووضوح في الدلالة على مفهوم حديث هو (Cluttering). إذ وقع حال جلّ الدارسين والمُعجبين-الذين وفقت على جهودهم- أنهم يألون عن مصطلح الرثة، ويستخدمون بدلا منه مصطلحات واصفة نحو: "السرعة الزائدة في الكلام"^(٦)، و"اللفظ"^(٧).

ثانياً: "التمتمة"، ورد تعريف مصطلح التمتمة في الإبانة "أن ترى اللسان يُخطئ موضع الحروف، فترجع إلى لفظ كأنه التاء والميم، وإن لم يكن بيّناً. والرجل تَمْتَمُ"^(٨). وبمقارنة ما جاء في الإبانة بغيره من المصادر التراثية، نلاحظ عناية عدد من لغويي القرنين الرابع والخامس الهجريين بتعريف هذا المصطلح، فأورد ابن دريد "التمتمة أن تنقل التاء على المنكلم"^(٩)، وذكر الجوهري أن التمتمة "التردد في التاء"^(١٠)، وعرف التعاليبي التمتمة في قوله: "أن

(١) انظر: السعيد، حمزة خالد، اضطرابات النطق عند الأطفال، مجلة الطفولة والتنمية، العدد ٥، المجلد ٢، ٢٠٠٢م، ص ٧٩.

(٢) انظر:

Baker, B., and Blackwell, P., Identification and Remediation of Pediatric Fluency and Voice Disorder, Journal of Pediatric Health Care, Volume 18, Number 2, March/April 2004, P.87

(٣) يُقصد بالإيقاع (Rhythm)، هنا، توقيت انطلاق الوحدات اللفظية. انظر: عطية، عبد الرحيم، عيوب النطق، ص ٢.

Baalbaki, R., Ibid., p. 95

(٤)

(٥) انظر:

Baker, B., and Blackwell, P., Identification and Remediation of Pediatric Fluency and Voice Disorder, Journal of Pediatric Health Care, p.87

(٦) انظر: صالح، عامر جبار، معجم مصطلحات علم النفس اللغوي، الجزء الأول (للسادة: Cluttering)، وانظر: السعيد، حمزة خالد، اضطرابات النطق عند الأطفال، ص ٨٠.

(٧) انظر:

Baalbaki, R., Dictionary of Linguistic Terms, p. 95

(٨) الرويتي، الإبانة، المجلد ١، ص ٣٨.

(٩) ابن دريد، جوهرة اللغة، (مادة: تمت).

(١٠) الجوهري، الصحاح، (مادة: تمت).

يتردد في وصف التاء^(١)، وجاء عند ابن سيده: "إذا تردّد في التاء قيل تَمَثَّم وقيل تَمَتَّام وقيل هو الذي يَجْعَلُ في الكلام ولا يكاد يفهمك"^(٢).

ومع اتفاق المصطلح لفظاً في هذه المصادر، إلا أن المفهوم يكاد يكون مختلفاً، وإن تشابه اتجاه التعريف، فنحت جميعها إلى وصف سلوك المتكلم المضطرب للكلام. ويبدو الاختلاف في حَسَل الاضطراب -عند العوثبي- على ظهور التاء والميم لنقل اللسان، وقصر المصطلح لدى ابن دريد والجوهري والتهالبي على تردد التاء، وتوسّع ابن سيده في المفهوم ليشمل تردّد التاء من ناحية والعجلة في الكلام من ناحية أخرى، ويجمع ابن سيده بما ذكر بين مفهومين - في الحقيقة - ينتميان إلى اضطرابات الطلاقة، ولكن كلّ واحد منهما ينتمي إلى اضطراب خاص من هذه الاضطرابات، فالركّة (السرعة في الكلام) مفهوم مستقل، والثلاثاء (ترداد التاء) مفهوم يمكن أن يندرج في اضطرابات اللعنة (Stuttering).

وعليه، فرأى أن المصطلح الذي أورده العوثبي - وهو في الحقيقة مُسمَّط لفظاً ومفهوماً من كتاب العين للخليل^(٣) - أولى بالنشر والتعميم، لدلالته على تردّد التاء وترداد الميم، ولو قصر العوثبي المصطلح على تردّد التاء كما فعل ابن دريد والجوهري والتهالبي لكان الأولى التخلي عنه لوجود مصطلح آخر - هو الثلاثاء - أقرب في صياغته المصطلحية؛ لدلالته المعجمية على تكرار التاء. وأحسب أن جمَعَ التمتمة بين تردّد حرفين - حملهما المصطلح في دلالته المعجمية - يقدّم لحل اضطرابات الطلاقة مصطلحاً دالاً على حالة تجمع اضطرابين من هذا النوع في حالة الفرد المصاب بهما، فيكون المصطلح ذخيرةً عندئذٍ تُوظَّف عند الحاجة إليها.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن ما أورده ابن سيده يحتمل وجوهاً، أحدها أن يكون للتطوّر في المفهوم قد لحق بالمصطلح في مراحل تاريخية مختلفة، والآخر أن يكون ابن سيده قد جمع في مصنفه تعريفيين مختلفين إتماماً لمادة معجمه. ومهما يكن، فالجمع بين نوعين مستقلّين من اضطرابات الطلاقة في سلوك المتكلم كالركّة واللّعنة أمر ممكن الحدوث^(٤) في ضوء بحوث اللسانيات العيادية، وعليه فقد يُستفاد من هذا المصطلح إذا كان المصاب يجمع بين هذين الاضطرابين، أي: العجلة في الكلام وترداد التاء.

ومع ذلك، فليس ثمة دليل يفي أن يكون التهالبي وابن سيده قد أوردا التمتمة مصطلحاً بديلاً عن الثلاثاء، إذ صرفا النظر عن مصطلح الثلاثاء في مصدريهما، رغم ما كُتب لهذا المصطلح - أي الثلاثاء - من الشيوخ في المراحل اللاحقة والعصر الحديث.

ثالثاً: التلعثم، جاء في الإبانة أن التلعثم "معناه توقّف وتلبّث، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: 'ما أحذّ عرضت عليه الإسلام إلا كانت له عده كَبُوءٌ غير أبي بكر، فإنه لم يلعثم، الكبوة الوقفة'^(٥). يتضمن هذا التعريف السباقي للّعنة معنى التوقّف، ويقدم التعريف هذا المعنى في موقف يستدعي فيه المتأثر (الدعوة إلى الإسلام) استجابة قولية (قولاً).

(١) انظر: التهالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص ١٥٩.

(٢) انظر: ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤.

(٣) انظر: الفراهيدي، كتاب العين، (مادة: تمث).

(٤) انظر:

Baker, B., and Blackwell, P., Identification and Remediation of Pediatric Fluency and Voice Disorder, Journal of Pediatric Health Care, P.88

(٥) العوثبي، الإبانة، المجلد ٢، ص ٣٢٢.

بالإسلام أو إعراضاً عنه)، إلا أن المتكلم خلا لبا بكر - رضي الله عنه - ينلثب ويتوقف. وصحيح أن التلعثم، هنا، عارضٌ مقيدٌ بالموقف إلا أن لفظ التلعثم حمل دلالةً تهيباً لدلالة مصطلحيةً تعبّر عن حالة من حالات اضطرابات الطلاقة، يُطلق عليها في اللسانيات العيادية مصطلح (Stuttering)، ينقطع فيها تواتر الكلام واتصاله ويتوقف، ولأسباب مختلفة، وراثية أو عصبية أو نفسية أو غيرها.

ولوحظ غياب لفظ التلعثم في كتابي الثعالب وابن سيده، غير أن ابن سيده أورد لفظين يحملان معنيين قريبين من معنى التلعثم، وهما "التتعث"، و"الانخزال"، حيث يقول: "تَعَثَّتْ في كلامه لم يستمر فيه وكذلك تَتَعَثَّ" (١)، و"انْخَزَلَ في كلامه انقطع وقال ارتبك في كلامه تتعتع... (٢)". والمعنى الجامع بين التلعثم والتتعتع والانخزال هو انقطاع تواتر الكلام وتوقفه.

ويُشار في السياق التاريخي لظهور التلعثم مصطلحاً إلى أن المراحل الأولى لظهوره تمثّلت باستخدام لفظه للدلالة على التوقف والتلثب، فورد في كتاب العين أن "التلثم: التتظر". لثم عنه أي نكل عنه. وتلثمت عن هذا الأمر أي نكلت عنه (٣)، كما ورد لفظ المصطلح في جهمرة اللغة في تقديمه معنى تَلَثَّمْتُ، حيث جاء (تَلَثَّمْتُ) الرجل عن الشيء، إذا توقف عنه ونكلم، فما تَلَثَّمْتُ ولا تَلَعَثْتُ بمعنى... (٤).

والحق أن التلعثم ظلت مستخدمة في الموروث اللغوي بدلالاتها اللغوية فحسب حتى مرحلة متأخرة، ويبدو ذلك جلياً في لسان العرب فجاء: تَلَعَثَ عن الأمر: نكل وتمكث وتأنى وتبصر، وقيل: للتلعثم الانتظار. وما تَلَعَثَ عن شيء أي ما تأخر ولا كذب. وقرأ فما تَلَعَثَ وما تَلَعَثَ أي ما توقف ولا تمكث ولا تردد، وقيل: ما تَلَعَثَ أي لم يبطئ الجواب. في الحديث عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: ما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت فيه كثرة إلا أن أبا بكر ما تَلَعَثَ أي أجاب من ساعته أول ما دعوته ولم ينتظر ولم يتمكث وصدق الإسلام ولم يتوقف. وفي حديث لقمان بن عاد أنه قال في أحد إخوته: فليست فيه لعثمة إلا أنه ابن أمية؛ أراد أنه لا توقف عن ذكر مناقبه إلا عند ذكر صراحة نسبته إليه يُعاب بهجنته. ويقال: سألت عن شيء فلم يَلَعَثْ ولم يَلَعَثْ ولم يَتَمَتَّ ولم يترغ ولم يتفكر أي لم يتوقف حتى أجابني (٥).

وفي العموم، فإن لفظ التلعثم يحمل دلالةً معجميةً توطن لقبول مفهوم لساني معاصر، يُطلق عليه في الإنجليزية - كما هو معلوم - مصطلح (Stuttering)، الذي يحظى بأهمية بالغة في حقل اضطرابات الكلام والطلاقة اللغوية، وقد نال عناية جمة في الدراسات الغربية. لذا، فيإيجاد مقابل دقيق له في العربية وتوجيهه مطلبان أساسيان، للنهوض بالدرس اللساني العربي المعاصر.

(١) انظر: ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤

(٢) المصدر السابق، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤.

(٣) الفراهيدي، كتاب العين، (مادة: تلثم).

(٤) ابن دريد، جهمرة اللغة، (مادة: ث م ث م).

(٥) ابن منظور، لسان العرب، (مادة: لعثم)

ويلاحظ أن معجمات المصطلحات والدراسات العربية لم تستخدم مقابلًا مؤخذًا لمصطلح (Stuttering)، ومن أهم المصطلحات العربية المستخدمة: التلعثم (عاهةً كلاميةً)^(١)، "اللُغْمَة"^(٢)، "التتبع"، "الركبة"، "الحبسة"، "العقدة"، و"اللُكَّة"^(٣)، فأفاه^(٤)، وتأتأة^(٥)، وتسممة، وتلعثم^(٦)، والجلجة^(٧).

وغني عن القول، أن كثيراً من هذه الترجمات لا ينبغي أن تتال القبول، لما فيها من تجاهل للفروق الدقيقة التي تفصل بين دلالات هذه المصطلحات في التراث اللغوي العربي. ويعد مصطلح التأتأة أكثر المصطلحات ملائمةً للُغْمَة واستخداماً في مقابل المصطلح الإنجليزي^(٨)، ويعوق قبوله مقابلًا للمصطلح الإنجليزي فيما أرى دلالاته في التراث العربي على ترداد صوت التاء، فهو أصدق في دلالاته على خصيصة من خصائص اللُغْمَة (Stuttering)، هي التكرار أو التردد.

وتقترح الدراسة الحالية اتخاذ مصطلح اللُغْمَة مقابلًا للمصطلح الإنجليزي، لما ينطوي عليه هذا اللفظ من دلالة معجمية تعبر عن خصيصة بارزة في مفهوم المصطلح الغربي، هي انقطاع تواتر الكلام والتردد في إنتاجه. ولعل أهم علامات اللُغْمَة (Stuttering): المقحصات (Interjections) مثل: "لم"، "أ"، وغيرها، وتكرار جزء من الكلمة (Word Repetition): أي إعادة الأصوات أو المقاطع، وإعادة الكلمة بأكملها (Whole Word Repetition)، وإعادة العبارة (Phrase Repetition) مثل: "أنا كنت... أنا كنت ذاهب"، والمراجعة (Revision) مثل: "أنا كنت... أنا أريد الذهاب"، وعبارات ناقصة (Incomplete Phrases)، والأصوات الممتولة (Sound Prolongation)، وحبس تيار الهواء حبساً تاماً مصحوباً بتوتر شديد في أعضاء النطق (Blocks)، والوضوح السماعي بتوتر شديد، وتكرار صامت لجزء من الكلمة (Silent Repetition)، ومطّ صامت للأصوات (Silent Prolongation)، وخشونة في الصوت وارتفاع مفاجئ في طبقة الصوت خلال تكرار المقاطع^(٩).

(١) انظر: باكلاً، حسن، وآخرون، معجم مصطلحات علم اللغة، (١٩٨٣م)، (مادة: Stammer).

(٢) انظر: عطية، عبد الرحيم، عيوب النطق، (١٩٨٧م).

(٣) انظر: يعقوب، إميل، وآخرون، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، (١٩٨٧م).

(٤) انظر: Baalbaki, R., Ibid., p. 477، (١٩٩٠م).

(٥) انظر: Baalbaki, R., Ibid., p. 477، وانظر: السعيد، حمزة خالد، اضطرابات النطق عند الأطفال، ٧٩، (٢٠٠٢م).

(٦) انظر: Baalbaki, R., Ibid., p. 470.

(٧) انظر: محاسين، صهيب سليم، عيوب الكلام في التراث اللغوي العربي، ص ١٥٣.

(٨) انظر: السعيد، حمزة خالد، التأتأة المظاهر والأنساب وطرق العلاج، مجلة التربية، العدد ١٤٠ آذار، ٢٠٠٢، ويعرف التأتأة — في دراسته — بأنها " اضطراب يصيب تواتر الكلام وسلاسته وانسيابه بحيث يعلم الفرد ما سيوله تماماً إلا أنه لا يكون قادراً على قوله، وتشتمل مظاهر التأتأة بتكرار بعض الأصوات، أو بعض المقاطع والتوقف المتكرر أثناء النطق"، (ص ٢٠٩).

(٩) انظر: عطية، عبد الرحيم، عيوب النطق، ص ٢، ٣.

وتصاحب اللعنة عوارضٌ ظاهرية كزيادة النشاط العضلي وبرزور المقاطع الكلامية الدخيلة ووقوع تغيرات غير طبيعية في الصوت، وظهور ردود فعل جلدية، وغيرها^(١).

وعلى ضوء هذه الخصائص والعلامات والظواهر المصاحبة لللعنة، نستطيع فهم دلالة المصطلحات الآتية ومجالاتها:

أولاً: التأتأة: يدل لفظ "التأتأة" في كتاب الإبانة على: "التردد في التاء"^(٢)، وحمل اللفظ هذه الدلالة المصطلحية في مرحلة لاحقة على كتاب العين وجمهرة اللغة، وتتقارب دلالة هذا المصطلح في هذين المصدرين، فجاء في العين: "التأتأة في الصوت، وتأتأت بالتيس عند السقار"^(٣)، وجاء في الجمهرة "تأتأت بالتيس إذا قلت له تأتأ لينزو"^(٤)، ولعل اكتساب اللفظ دلالة الاصطلاحية ظهرت ابتداء في كتاب الصحاح للجوهري، إذ قال: "رجل تأتأ على فغل وفيه تأتأ يتردد في التاء إذا تكلم". ويلاحظ إصرار الثعالبي وابن سيده عن ذكر التأتأة في كتابيهما، مما قد يكشف عن تأخر ظهور دلالة التأتأة الاصطلاحية.

ومما ينبغي ذكره أن مصطلح التأتأة استقر في المعجمات المتأخرة وحمل الدالتين اللغوية والاصطلاحية، فيورد اللسان تأتأ التيس عند السقار يتأتأ تأتأة ويتأتأ لينزو ويقبل. ورجل تأتأة، على فغل، وفيه تأتأة: يتردد في التاء إذا تكلم. والتأتأة: حكاية الصوت. والتأتأة: مشي الصبي الصغير؛ والتأتأة: التختير في الحرب شجاعة...^(٥)، وأكد تاج العروس هذه المعاني، حيث تضمن: "التأتأة: حكاية الصوت تقول: تأتأت به. والتأتأة تردد التأتأة في التاء إذا تكلم. والتأتأة دعاء للتيس المعزى للسقار، وفي العباب: إلى العصب كالتأتأة بحذف الهاء. والتأتأة هي أيضا مشي الطفل الصغير، وفي العباب: الصبي، بدل الطفل. والتأتأة للتختير في الحرب شجاعة"^(٦).

أما معجمات المصطلحات والدراسات العربية المعاصرة فقد حفلت بهذا المصطلح-كما تبين أنفاً- ووضعتة مقابلاً للمصطلح (Stuttering)، وتقرح للدراسة الحالية تخصيص هذا المصطلح للدلالة على اضطراب محذب من أنماط اللعنة، يكون الفرد فيه مصاباً باضطراب تكرار صوت التاء بخاصة أو ظاهرة تكرار الأصوات الشديدة - الانفجارية بعامة، في حين يوظف مصطلح الغافاة للدلالة على نوع آخر من أنماط اللعنة هو تكرار التاء أو تكرار الأصوات الرخوة.

وربما تقابل التأتأة-على اتساع- مصطلحاً في اللسانيات العيادية هو (Palilalia)، ويقصد به: تكرار غير سوي (مرضي) وغير إرادي للكلمات أو العبارات المنطوقة^(٧)، وأقرح أن نذكر مصطلح التأتأة ليقابل ما قد يستجد مستقبلًا في حق اللسانيات العيادية من مفاهيم، كتكرار صوت التاء أو تكرار صوت شديد، لصالحية التأتأة للدلالة

(١) انظر: عطية، عبد الرحيم، عيوب النطق، ص ٤٠.

(٢) المعوني، الإبانة، المجلد ١، ص ٣٨.

(٣) التراهيدي، كتاب العين، (مادة: تأتأ).

(٤) ابن دريد، جمهرة اللغة، (مادة: ت أت أ).

(٥) ابن منظور، لسان العرب، (مادة: تأتأ).

(٦) الزبيدي، تاج العروس، (مادة: تأتأ).

(٧) انظر: Baalbaki, R., Ibid., p. 356.

على مثل تينك المفهومين. ومن المعلوم أن السابقة (Pali) التي تعني مُعاود أو مكرر أو تكرر مرضي — قد توظف لمثل هذه المفاهيم المتوقَّع استحداثها في مجال علمي ناهض كاللسانيات العيادية.

ثانياً: الفأفة: وهو من المصطلحات القليلة التي يلحظ إجماع جُلِّ اللغويين على إيراد لفظها والتقريب في تعريفها، وابتداء ظهور اللفظ مصطلحاً دالاً على الاضطراب الكلامي مبكراً، فعُرِّف في كتاب العين: "الفأفة في الكلام: إذا كان الفاء يغلب على اللسان... فأفا فلان في كلامه يُغلبُ فافاً. ورجل فأفا، وامرأة فأفاة"^(١)، وعُرِّف في جمهرة اللغة: "الفأفة الحُبسة في اللسان — عربي معروف..."^(٢). ويؤسس الجوهري في الصحاح لتعريف يطنى في عبارته على تعريف المصطلح في المصادر اللاحقة، إذ عرّف المصطلح في قوله: "رجل فأفا على فَعْلَال، وفيه فأفاة، وهو الذي يتردد في الفاء إذا تكلم"^(٣). ولا تكاد المصادر اللاحقة تغادره، فعرّف الثعالبي في قوله: "أن يتردّد في (الفاء)"^(٤)، وعرّف العوتبي في الإبانة على أنه: "التُرْدَاد في الفاء"^(٥)، وجرى نحو هذا ابن سيده فأورد: "إذا تردّد المتكلم في الفاء قيل فأفا وهو فأفا وفأفا وقيل الفأفا الذي يعسر عليه خروج الكلام"^(٦). ويبدو أن المصطلح قد استقر في المعجمات المتأخرة على هذا التعريف، فجاء في اللسان: "فأفا: الفأفا، على فَعْلَال: الذي يُكثِر تردّد الفاء إذا تكلم. والفأفاة: حُبسة في اللسان وغلبة الفاء على الكلام. وقد فأفا. ورجل فأفا وفأفاة، يمدّ ويصغر، وامرأة فأفاة، وفيه فأفاة. اللَّبث: الفأفاة في الكلام، كأنّ الفاء يغلب على اللسان، فتقول: فأفا فلان في كلامه فأفاة. وقال الميرد: الفأفاة: التُرْدِيد في الفاء، وهو أن يتردّد في الفاء إذا تكلم"^(٧).

وفي العموم، فتعريف اللغويين العرب لهذا المصطلح يبنى على ملاحظة سلوك الفرد المصاب، حيث يكون فيه الملمح الأبرز تردّد صوت بعينه هو الفاء، أو مدّ الصوت اللغوي وقصره فيما أشار إليه ابن منظور، وكلّ ذلك مرده إلى الحُبسة في المنطق، ولهذا فهو — فيما تذهب إليه هذه الدراسة — مصطلح دالّ على نمط من أنماط اللعنة، إذ ينطبق على الفأفاة عدد من علامات اللعنة وعوارضها، كتكرار الصوت اللغوي ومطلّه. ومن قرط العناية بهذا المصطلح في العصر الحديث أن حمّله البعلبكي مقابلاً للمصطلح الإنجليزي (Stuttering)^(٨). وتنتشر الدراسة الحالية تخصيص هذا المصطلح للدلالة على التكرار المرَضِيّ للأصوات الاحتكاكية، ومطلّها. وغيرُ خافٍ ما ينطوي عليه هذا المصطلح من قرب الدلالة الاصطلاحية من الدلالة اللغوية، فيُحاكي في بنية لفظه الصوتية مدلوله المفهومي، ويمثل هذا التعاضد شأن في استقرار المصطلح وشيوعه.

ثالثاً: "اللججة": ظهر لفظ اللججة بدلالته الاصطلاحية في مرحلة مبكرة، وحمل اللفظ هذه الدلالة إلى جانب الدلالات اللغوية الأخرى، فورد في كتاب العين: "...وَلَجَجَ القَوْمُ: دخلوا في لَجَّةٍ وبحرٍ لَجِيٍّ أي واسع اللجّة. والتججّ

(١) الخليل، كتاب العين، (مادة: فأفا).

(٢) انظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، (مادة: ف أف ا).

(٣) الجوهري، الصحاح، (مادة: فأفا).

(٤) انظر: الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص ١٥١.

(٥) العوتبي، الإبانة، المجلد ١، ص ٣٨.

(٦) انظر: ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤.

(٧) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (مادة: فأفا).

(٨) انظر: Baalbaki, R., Ibid, p.477.

الظلام: اختلط، والأصواتُ اختلطت وارتفعت. واللَّجَجَةُ: كلام الرجل بلسانٍ غير بَيِّن، وهو يُلَجِّجُ لسانه، وقد تَلَجَّجَ لسانه... وكلامٌ مُلَجَّجٌ: مُخْتَلَطٌ. وفلانٌ يُلَجُّ بالشَّيء أي يُبَادِرُ به فيؤخِّذُ، يقال: تَلَجَّجَ داره أي أخذها منه...^(١). وتعريف اللُّجَّة في العين لا يصنفها بدقة، ولا يميِّزها من غيرها من اضطرابات الكلام، وإنما يبرز صفة الاختلاط في الكلام المُلَجَّج، فيُلَمَحُ ضمناً إلى تأثيره السلبي في التواصل اللغوي من جهة المستمع، كما يبرز التعريف علة اللُّجَّة، ويرجعها إلى اضطراب حركة اللسان. ويبدو أن تعريف اللُّجَّة تشكُّل أساساً في حدود ظلال المعنى اللغوي، أي الاختلاط. ولم يقدم جمهرة اللغة ما يسعف في إثارة هذا المصطلح، بل ظلَّ دور في فلك تعريف كتاب العين، فورد فيه: «لجج الرجل لَجَجَةً إذا لم يُبَيِّن كلامه، ورجل لجلج إذا كان كذلك... ويقال لجلج اللقمة في فيه إذا أدارها ولم يُسِفها...»^(٢)، كما ورد في موضع آخر منه «لَجَّ يَلَجُّ لَجَاجَةً إذا محك الأمر وسمعت لجة القوم أي أصواتهم وللجة لجة...»^(٣). وفي ضوء ما تقدّم جاء تعريف اللُّجَّة في الإبانة، حيث ورد «لنْ يَتَكَلَّمُ الإنسانُ بكلام غير مُبَيِّن، وهو يَلَجُّجُ لسانه، وكلامٌ مُلَجَّجٌ»^(٤)، «والتَّجَّتْ الأصواتُ إذا اختلطت وارتفعت. واللَّجَجَةُ: أن يَتَكَلَّمَ بكلام غير بَيِّن، وهو يُلَجِّجُ بلسانه»^(٥).

ويلاحظ أن ابن فارس قد تجاوز بفكره اللغوي الثاقب - في المقاييس - ما وَفَّرَ في الأذهان من معاني اللُّجَّة ودلالاتها اللغوية، فكشف عن الأصل الجامع للام والجيم، واستنبطه في الدلالة على تركد الشيء بعضه على بعض، وترديده، حيث قال: «اللام والجيم أصلٌ صحيح يدلُّ على تركد الشيء بعضه على بعض، وترديد الشيء. من ذلك اللجّاج، يقال لَجَّ يَلَجُّ، وقد لَجِجت على فِعلت لَجَجاً ولَجَجاً. ومن الباب لَجُّ البحر، وهو قاموسه، وكذلك لَجَّتُهُ، لأنه يتركد بعضه على بعض. يقال تَلَجَّ البحرُ التلجّاجاً... لجلج الرجلُ المُضَنَّة في فيه، إذا رددّها ولم يُسِفها... وللجلّاج: الذي يُلَجِّجُ في كلامه لا يُعَرِّب، واللَّجَّة: اللَّجَلَّة... ويقولون: في فؤاد فلان لَجَاجَةٌ، وهو أن يَخْفِقَ لا يسكن من الجوع... واللَّجَّاجُ الظُّلَامُ: اختلاطه، وهو مشبهٌ بالتلجّاج البحر. ويُستعار هذا فيقال عينٌ مُلَتَّجَةٌ: شديدةُ السَّوَادِ»^(٦). وبهذا تتضاف معاني لغوية جديدة تمكّن للفظ اللُّجَّة أن يحمل دلالة اصطلاحية مُميّزة. وأهمّ معنيين: اختلاط الأصوات، وتردد الشيء وترديده. أما على مستوى الدلالة الاصطلاحية فلا يزال المصطلح في هذه المرحلة غامضاً، وقد يُفهم ربط اللُّجَّة بنفي الإعراب في كلام ابن فارس، على أنه إشارة إلى تأثير اللُّجَّة في الإفصاح والطلاقة.

وعلى العموم، نجد الاختلاط والتركد ينتقل إلى تعريف اللُّجَّة عند الثعالبي، فيعبّر عن سلوك المتكلم في إدخاله الكلام بعضه في بعض مصحوباً بخبسية، وانقطاع سلسلة الكلام المعهودة، إذ عرّف التَّلَجَّاج على أنه الذي «يكون فيه عيٌّ وإدخال بعض الكلام في بعض...»^(٧). وتتجلى هذه الصفة بصورة أوضح عند ابن سيده، حيث يقول: «الأكْبَغ الذي لا يُبَيِّن الكلام ويرجع كلامه إلى الياء... فإذا تتعّعت ومضغ الكلام ولم يخرج به بعضه في إثر بعض قيل تَلَجَّجَ

(١) الخليل: كتاب العين، (مادة: جلّ).

(٢) ابن دريد، جمهرة اللغة، (مادة: لجلج).

(٣) المصدر السابق، (مادة: لجّ).

(٤) العروقي، الإبانة، المجلد ٣، ص ١٦.

(٥) المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٢٣٦.

(٦) ابن فارس، المقاييس، (مادة: لجّ).

(٧) انظر: الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص ١٥١.

ومنه سُمّي الرجل لَجْجاً... اللَّجْج الذي سجيّة لسانه يَقلّ الكلام ونقصه^(١). ويُنحَظ في تعريف ابن سيده الرّبط بين اللّيج واللّجعة واللّججة، وكأنّ الواحد يُنضمّي إلى الآخر ترتيباً. وعليه، تغدو اللّججة اضطراباً لآلها حالة متقدّمة دائمة - لا مؤقتة - من انقطاع سلاسة الكلام وتدقّقه، فمضغّ الكلام تعبيرٌ مجازيٌّ، قد يُفهم منه تقطّع وقصورٌ في تدفّق الهوام اللّازم لإنتاج الكلام في الحجرة الفمويّة، مما يؤدي إلى إنتاج كلام بطيء يعثره التّرداد.

ويحتوي لسان العرب الدلالات اللّغويّة العديدة في اللّججة، وهي دلالات تعمّق أبعاد المصطلح، وتُبيّن عن الصّلة الوثيقة بين المستويين اللّغويّ والاصطلاحي^(٢). كما يضمّ المعجم تعريفات مصطلح اللّججة المختلفة، فيرسخ بهذا استمرار استعمال هذا المصطلح، ويعكس أهميته في الموروث العربيّ، فورد فيه: "...واللّججة: يَقلّ اللّسان، ونقص الكلام، وأن لا يخرج بعضه في أثر بعض. ورجل لَجْجٌ وقد لَجَجَ وتَلَجَجَ...وقيل: اللّجْج الذي يجول لسانه في شدّقه. التهذيب: اللّجْج الذي سجيّة لسانه يَقلّ الكلام ونقصه. اللّيث: اللّجْجَةُ أن يتكلم الرجل بلسان غير بيّن، ومنطق بلسانٍ غير لَجْجٍ...واللّجْجَةُ والتّلَجْج: التّركُّد في الكلام..."^(٣).

ويظهر مصطلح اللّججة في العصر الحديث على نحوٍ شائع في المقالات والدراسات التربويّة والنفسية، غير أن استخدامه في كثير منها جاء مختلطاً ومشوّشاً^(٤). فاستعمل في بعضها على نحو مخلٍّ بالتواصل المصطلحيّ، حيث ورد: "اللّججة اصطلاحٌ يشير إلى "التمتّة"، و"الفأفة" و"التأتأة" في النطق..."^(٥).

واستعمل في بعض الدراسات العلميّة - التربويّة مرادفاً للعثمة (stuttering)، نحو دراسة عبد العزيز سليم الموسومة بـ"مدى فعالية برنامج علاجيّ تكامليّ متعدد الأبعاد في علاج بعض حالات اللّججة لدى عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائيّة"، ٢٠٠٤م. وعرف فيها الباحث اللّججة على أنّها: "اضطراب في إيقاع الكلام وطلاقة مما يؤثر في تسلياب الكلام بتضمّن التكرارات اللاإرادية للأصوات أو الحروف أو الكلمات أو إطلاقها أو التوقّف اللاإرادي في أثناء الكلام، وبصاحب ذلك حركات لا إرادية للرأس والأطراف، وسلوك التّفادي وردود الأفعال الانفعالية كالخوف والقلق وانخفاض درجة تقدير الذات لدى المتعلّج"^(٦). وتصدّق مكونات هذا التعريف على العثمة.

(١) ابن سيده، المخصص، السفر الثاني، ص ١١٨-١٢٤

(٢) للوقوف على هذه الدلالات اللّغوية، ابن منظور، لسان العرب، (مادة: لج)

(٣) المعصّر السابق، (مادة: لج)

(٤) تبدو مثلاً هذه الظاهرة من الارتباك والاضطراب في استعمال المصطلح واضحة في المقالات المنشورة في المجالات التقنيّة وعلى المواقع الإلكترونيّة، وهي من الكثرة بمكان، وتأثيرها في نشر المصطلحات وتداولها أمر بالغ الخطورة. انظر على سبيل المثال: "التعلّم اللّججة أو التهنّة" لطلعت حكيم، المنشورة على: (<http://st-talka.org>)، و"اضطرابات الكلام "النطق" الناجمة عن ضعف القدرة العقلية لدى الطفل" المنشورة على: (www.gulfkids.com)، و"اللّججة في الكلام وأسبابها النفسية" لصبحي عبد اللطيف المعروف، المنشورة على: (www.balagh.com)، وغيرها.

(٥) انظر: مختار، وفق صفوت، "أمراض الكلام عند الأطفال وطرق علاجه"، مقالة منشورة على المواقع الإلكترونيّة: (www.balagh.com).

(٦) انظر: سليم، عبد العزيز إبراهيم أحمد، "مدى فعالية برنامج علاجيّ تكامليّ متعدد الأبعاد في علاج بعض حالات اللّججة لدى عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائيّة"، رسالة ماجستير: إشراف شاكر عطية كنديل ومحمود فتحي عكاشة، وعادل السعيد البنا، جامعة الإسكندرية، كلية التربية بفرع دمهور، قسم علم النفس التربوي، ٢٠٠٤م، ص ٤ من ملخص الرسالة المنشور على: (www.gulfkids.com).

وحملت دراسة عربية أخرى في طيّ عناوينها مصطلح اللّجّلة، وهي دراسة سهير أمين الموسومة بـ"اللّجّلة: المفهوم، الأسباب، العلاج"، ٢٠١٠م، مما له كبير الأثر في شيوع المصطلح وتداوله، وجاء تعريف مصطلح اللّجّلة فيها: "اضطراب في تدفق الكلام وسلاسته (smooth flow of speech)، بسبب أزمة توقيّة وتكرارية (tonic and clonic spasm) مرتبطة بوظائف التنفّس والنطق والتشكيل (الصياغة)" (١).

ولعل هذا التعريف الأخير للّجّلة يكون قريباً في دلالاته من دلالة المصطلح في الموروث اللّغوي العربي، مما يُمكن لهذا المصطلح العربي من النفاذ والشيوع بدلالة ممتدّة في تاريخ الدراسات اللّغوية العربيّة، ومواكبة للتطوّر اللساني في حقل اضطرابات الكلام واضطرابات الطلاقة في العموم، واضطرابات اللّعمة على وجه الخصوص. فالمصطلح يصلح في معناه اللّغوي والاصطلاحيّ العربيين للدلالة على نمط من أنماط اللّعمة يرتبط باضطراب توقيّ أو تكراريّ يعوق تدفق الهواء، فيؤدي إلى اضطراب إيقاع الكلام (توقيّت انطلاق وحدات الكلام)، ينجم عنه عدم انتظام في الوحدات اللّفظيّة، فيبدو الكلام لدى السامع كلاماً مختلطاً، لا يخرج بعضه في أثر بعض" حسب ما ورد في لسان العرب.

الخاتمة:

نتخلص أهم نتائج هذه الدراسة فيما يأتي:

أولاً: أبدى الباحثون المعاصرون عناية جادة في دراسة جهود القدامى في مجال عيوب اللغة والكلام، وتفحصها في ضوء معطيات الدرس اللساني المعاصر، وكشفت الدراسة أن البحث المستفيض في كتابات العرب القدامى، وبخاصة في كتابات اللغويين منهم، لا يزال مشرعاً على مصراعيه لاتساع هذا المورث وغناه، وقلة الدراسات المتخصصة في هذا المجال كمّاً ونوعاً.

ثانياً: تضمنت الدراسات اللّغوية السابقة في كتاب الإبالة للعوثي إشاراتٍ عابرةً إلى مصطلحات اضطرابات الكلام في مواطن استعراضها محتوى الكتاب، مما شكّل مسوغاً مشروعاً للنهوض بهذه الدراسة المتخصصة، وربطها بمعطيات الدرس اللساني المعاصر، تعميقاً لفهم الموروث المصطلحي العربي، وإغناءً للدرس العربي الحاضر والمستقبلي.

ثالثاً: جاء اهتمام العوثي باضطرابات الكلام منسجماً نهجاً وتطبيقاً مع نتجّه سابقه ومعاصريه: لغويين ونحويين وبلاغيين. فنترجّه -كغيره- إلى استنباط خصائص الفصاحة والبيان في مستويات العربية الفصحى، وترسيخ القواعد الناطقة لهذه الخصائص، وردّ ما يخالفها أداءً وفهماً، وتقديم للنماذج اللّغوية الفصحى ليقندي بها متعلمو العربية ويتمثّلوا في إنتاجهم اللّغويّ.

رابعاً: قارب اللغويون العرب بعامة، والعوثي بخاصة، اللسانيين المعاصرين - في حقل اللسانيات التواصلية - في فهم طبيعة اللغة ووظيفتها في المجتمع، وعلاقتها بالأفراد والمجتمع، ودورها في عملية التواصل اللّغوي، إذ تُتمكّن محافظلة اللغويين العرب على النمط اللّغوي الفصيح وعياً بوظيفة اللغة في التواصل الاجتماعي، وأهميتها في توحيد المجتمع. وأظهر العوثي في هذا السياق اهتماماً بأركان التواصل اللّغوي: (المُرسل، والمستقبل، وأداة الإرسال، وماتته)، وحظيت الأداة بجلّ اهتمامه، فكان بينه على ما قد يشوب سلامة نظام العربية الفصحى ويعوق التواصل بها.

(١) أمين، سهير محمود، للّجّلة: المفهوم - الأسباب - العلاج، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٢٢

خامساً: رصدت الدراسة عدداً وافرأ من المصطلحات الدالة على التواصل اللغوي والاضطرابات التي تتعثر، وميّزت الدراسة أصناف هذه الاضطرابات وفق معطيات اللسانيات التواصلية، فجات المصطلحات موزعة على اضطرابات: النطق، والأصوات، والطلاقة اللغوية، والسمع.

سادساً: أولت هذه الدراسة اضطرابات الطلاقة جلّ عنايتها، فتناولت المصطلح والمفهوم والمجال العلمي، وأفادت في مناقشة مصطلحات هذا الحقل، فوفقت على أهم المصطلحات الواردة في كتاب الإبانة، وقارنت هذه المصطلحات بما ورد لدى لغويي القرنين الرابع والخامس الهجريين، وتتبع تطور هذه المصطلحات في كتابات اللغويين العرب القدامى، ومدى إفادة اللغويين العرب المعاصرين من هذه المصطلحات في مواجهة التطور في حقل اللسانيات المعاصرة بعامة، وللسانيات العيادية بخاصة.

سابعاً: رصدت الدراسة- في كتاب الإبانة- مصطلحات اضطرابات الطلاقة الآتية: الرتة والتمتمة والتأتأة والفأفة والتلعثم والتجلبة. ولاحظت أنها تشكل جزءاً من مصطلحات اضطرابات الطلاقة في الموروث اللغوي العربي، فمة مصطلحات أخرى في الموروث العربي تستحق البحث في دراسات قابلة.

ثامناً: تتبعت هذه الدراسة مصطلحات اضطرابات الطلاقة في المصادر التراثية اللغوية، وسجلت الملاحظات على تطورها، وارتباط دلالتها الاصطلاحية بالدالة اللغوية، ومدى استمرارها وشيوعها في الدراسات المعاصرة ومعجمات المصطلحات، وما يقابلها من المصطلحات والمفاهيم في اللسانيات العيادية.

تاسعاً: توصلت الدراسة إلى أن مصطلح الرتة يرتبط في كتاب الإبانة بالعجلة في الكلام، وأن معظم المعجمات الاصطلاحية - التي وقف عليها الباحث- قد قصرت عن متابعة مفاهيم اضطرابات الطلاقة ومصطلحاتها في اللسانيات العيادية، واقترحت الدراسة أن يُستخدم مصطلح الرتة مقابلاً لمصطلح (Cluttering). كما كشفت الدراسة عن اتصال الداليتين اللغوية والاصطلاحية في تشكيل الرتة، مما يضيف على المصطلح القوة في الشيوع والتداول، فضلاً على رسوخه في التراث اللغوي العربي وبدلالة اصطلاحية تضاهي ما قد يحمله المصطلح من أبعاد معاصرة.

عاشراً: توصلت الدراسة إلى أن مصطلح التمتمة في كتاب الإبانة مستمد من كتاب العين، وأن المصادر التراثية قد اتفقت في لفظ المصطلح واختلقت في تحديد معناه، ورجّحت الدراسة استخدام المصطلح في اللسانيات المعاصرة ليندل على اضطرابين، هما ترداد التاء، والعجلة في الكلام، ليجمع بهذا بين المصطلحين الغربيين: (Cluttering) و(Stuttering). والحقيقة أن مثل هذا المصطلح قد يكون ذخيرة يستخدم بهذا المفهوم في حال التطور المتوقع في اضطرابات الطلاقة في اللسانيات العيادية التي تعدّ فرعاً لسانياً معاصراً ناهضاً.

حادي عشر: ورد مصطلح اللعثة في كتاب الإبانة ليندل على التوقف والتثبّت، ولوحظ أن المصطلح ظلّ مستخدماً بدلالاته اللغوية حتى مرحلة متأخرة، وتوطئ دالة المصطلح المعجمية لاستيعاب دالة المصطلح الغربي (Stuttering)، الذي يدل على اضطراب يصيب تواتر الكلام واتصال وحداته اللفظية. ولوحظ أن عدداً من الدراسات والمعجمات المعاصرة قد استخدمت اللعثة مقابل هذا المصطلح، غير أن جلّ هذه المعجمات والدراسات قد سقطت في مشكلة الترادف المصطلحي، فاستخدمت إلى جواره الدالة الاصطلاحية نفسها أكثر من مصطلح، نحو: الحبسة والعقدة والفأفة وغيرها.

ثاني عشر: حمل مصطلح التأتأة دلالاته الاصطلاحية في أواخر القرن الرابع الهجري، واستقرّ في المعجمات المتأخرة كلسان العرب وتاج العروس، وجاءت فيها دلالاته الاصطلاحية إلى جانب دلالاته اللغوية، وشاع مصطلح

النشأة في الدراسات المعاصرة مقابلاً للمصطلح الغربي (Stuttering). ولتقرحت الدراسة الحالية تخصيص دلالة ليطلق على نمط من أنماط اللعنة (Stuttering)، ليبدل على تردد صوت الثاء دون غيره من الأصوات، أو إطلاقه على تردد الأصوات الانفجارية. وغني عن التفصيل، هنا، فيما لحق هذا المصطلح في الدراسات والمجمعات الاصطلاحية العربية من عيوب الاشتراك والترايف المصطلحي.

ثالث عشر: يلاحظ أن مصطلح الفأفة من المصطلحات القليلة التي أجمع اللغويون القدامى على إيرادها متفقة اللفظ والمفهوم، فاستخدم للدلالة على تردد الفاء ومد الصوت اللغوي، ولوحظ تعاضد الداليتين اللغوية والاصطلاحية في تشكيل هذا المصطلح. وارتأت الدراسة الحالية إطلاقه على نمط من أنماط اللعنة، يُظهر المصاب به اضطراباً في تكرار الأصوات الاحتكاكية ومُطْلَها.

رابع عشر: مرّ مصطلح اللجلة في الموروث العربي بمراحل عديدة في تطوره الاصطلاح، ليبدل في النهاية على علة كلامية لا يخرج بسببها الكلام بعضه في إثر بعض، حسب تعبير ابن منظور. واستعمل المصطلح في العصر الحديث استخداماً يشوبه الاختلاط والتشويش، فاستعمل في بعض الدراسات مرادفاً للتنمة والفأفة والنشأة واللعنة، وغيرها. وتذهب الدراسة الحالية إلى ضرورة الإفادة من هذا المصطلح بإطلاقه على نمط من أنماط اضطرابات اللعنة يرتبط باضطراب توقفي أو تكراري يعوق تدفق الهواء، مما يسبب اضطراباً في إيقاع الكلام.